

الشرق الملتهب



ARCHIVE عبد الله سحري

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مات إحساسهم ومات الضمير
وطغى الحق بـينهم والشـرور
وتداعى البناء من كل صوب
وتلاشى التفكير والتـدبير
وتعمرى كل امرئ عن فؤاد
أحرقته الأحقاد فهي تفور
وأذيت أخلاقهم واستبدت
بهم كبريائهم والغرور

فضلوا السير خلف كل تعميق
وأثاهم بشره المحذور
والأعادي بهم تحيط ويشهد
عليهم خناقها والحصير
يا لعمري متى تفيق وتصحو
أمة طال في دجائها السير
أوشكت أن تبعد كالأمم الأ
ولى وتأتي على المباد العصور
سدروا في هواهم وتولوا
حين نادى ويح الرجال النذير
صبروا الطائرات للهو في أنا
ى مكان كي لا يراه المبصر
وبلاد لهم تثنى فها اهتز
وحقق الأله فهم غيور
والعدا تنصب الفخاخ للهو
بلذات طعمها العصفور
أصبح الشرق مسرحاً لشعال
جائلات به ومات الزئير
وتعالت على الضواري ذئاب
فهى تعموي في أرضه وتغير
أعلام الغربى حين يرانا
وهو في أوج مجده غمور
كقطيع الأنعام سيق لجزر
لا يعي ما يرى ولا يستنير

طمع الطامعون بالأسود المنسا
 ب واشتد حقه الموتور
 لو صمدنا لما جرى النفط يوماً
 أو صدقنا لأغلق الصنبور
 ولو أن القلوب تخلو من الغل
 وتصفو لهاها المغرور
 هذه القدس لوحت بيديها
 بح صوتي أذلني الخنزير
 هتك العرض واستبيح فنائي
 وتولى أزمّي الموغور
 أين قومي وأين أين ابن أيو
 ب صلاح ليطرأ التغيير
 سامني الخيف أسفل الناس جنباً
 وبقدسي يبعث الحقير
 عقلت أمني فلم تلتد الحمر
 وديس الحمى وعز النصير
 يا لعمري أللصباح شروق
 فينادي للقدس جاء المجير
 وترف الرايات فوق مبانها
 ويعملو التهليل والتكبير
 ورحى الدائرات فوق رؤوس
 أثقلتها الذنوب سوف تدور
 وسيخبو نهيق جحش ويرمي
 رأس أفعى على الخليج تجور

تدعي أنها التي تتولى
شاطئيه فيشتفي المأجور
تعس المدعى وتبنت يده
فهو يهذى بما ادعى ويخور
وتلاشى مروجو الدعوة الحمقا
ء ويشتد آهه والزفير



دار الكرام الميامين



ARCHIVE

<http://ArchiVe.org/Godurif.com>

عبدالله الدوليش

انعم بدار طيب الله ثراها
واشرق على روس المعالي سماها
من صكته بقعا لجأ في حماها
نحسي حماها وتندري بذراها
اللي حوها من شرايد دناها
فطاحل ماجنبوا عن مداها

يا دار يا دار الكرام الميامين
دار سمت بالعز بين البلادين
وبشامخ العليا زهت بالميادين
دار لنا وبعرها اليوم وافين
عز الرجال اللي عليها محامين
اللي بها جاسوا وهم كالبلايين

يوم السفر والغوص والكل دارين
 وإيام عسر الوقت فيها مصالين
 ذي دارنا وحننا بأمرها موالين
 كم غارة جتنا من اللي معادين
 حتى اعتليننا فوق روس المحادين
 بواسل تقلط على المجد ساعين
 مثل الضواري في ضحى الكون عادين
 فتخان الأيدي معدلين العراجين
 حاية الساقه على الشد جاسين
 ياما على ضبحات الايمان سارين
 حقايق ماهي علوم وسباحين
 ابذكر الماضي بعلم وبراهين
 كل يعرف الحق ماهي شراذين
 صبايل ياما على الضد شافين
 صيارم حامت على البين للبين
 واليوم غار النفط وروى المحاقين
 عشنا بوقت فات وحننا مضاهين
 لاكدر الله وقتنا منه راضين
 في عيشة يرضى بها الكل داعين
 سور البلد ورجالها اللي مصافين
 أهل الكويت اللي عليها محاذين
 أهم العرب بحق العروبة مجازين
 اللي على عهد الصداقة مدارين
 والى ذكر شهم بوسط الدواوين
 هذا وما قلته لكم يالميامين

ياما شربنا من كدرها وحلاها
 لاكدر الله عيشة في رضاها
 هي امنا وحننا نتلقى شقاها
 ياما قلنا من خلاها بخلاها
 وبانت ولانت بالمفاسم عراها
 صيارم قطاع هامة عداها
 مامنم اللي قاطع به رشاها
 لقاحة العقر بماها فهاها
 ياما على الغارات بانت خطاها
 وياما على كور النجايب قراها
 مثل الدرر بمخملات النزاها
 والشمس ثوبي ما يغطي سناها
 دار على روس المشارف علاها
 تشفى منها لهم بصافي لضاها
 صلايف محمد يسوي سواها
 جذاولته لاكدر الله صفاها
 في عيشة محمد بها من يراها
 دنيا الفرح ترقص وتكشف غطاها
 للي رسمها وخطها بمعناها
 عيناهم لكل الرعايا تباها
 راياتهم ما يوم احد طواها
 بالموجبات المم معزة وجاها
 ماقيل واحدهم عن الرشد تاها
 الا بعلم الخير ينطق بفاها
 انعم بدار طيب الله ثراها
 عبدالله عبدالعزيز الدويش

زهيريات

يا صاح صرف الدهركم هد حيدبركن
مالوم منهو عليه النايبات بركن
وامسى بزيذا يفكر والمسير بعيد
قوافل الوقت عنه مقفيات بعيد
انا بهم وكدر والناس كلها بعيد
هل كيف بانصب ركن والغيرهد بركن

دعنا نتباصر بها ونحل كل مشكله
يا صاحب الراي دنيانا ترى مشكله
ونصير وياك مايوم لنا مشكله
خلينا نتواسي بها ونأخذ بها من راي
انت المقدم وانت اللي بهالك راي
وحنا سواسي معك والكل عنده راي
يا صاحب الراي ما تصعب بها مشكله

أبدأ فلاشفت من عصر الصبا راح لك
تندب على ماضى من عصرك الراح لك
تميت مقطوع ما بين الركب راحك
وتقول يا عزوتي ليت الشباب يعود
وانت الذي نأحل جسمك سواة العود
لا تذكر اللي مضى هذاك ما هو يعود
كمل لهم طرشتك واسلم على راحك

عبدالله عبدالعزيز الدويش

قصيدتان للعراق الحبيب



فيصل السعد

الشوق الأول

أحبكمو لأنكمو مدادي	وبينكمو .. وبينني صوتُ حادٍ
وما بعثُ الموانئء رغم جوعي	وما استبدلتُ آتاتِ الشَّهادِ
إذا سقطتُ طيوفِي فوق جفني	ألاقيكمُ دليلي في البوادي
وأرحلُ في المنامِ إلى ديارِ	ولكن صوتُ قافيتي ينادي

خذوني ياملاذ النفس اني غريباً عن جفوني والنفود

• • •

أحبكو لأنكو مدادي ومنكم لحن أشعاري وزادي
تعالوا لو طيوفاً ان ليلى طويل والظنون بلا رقادي
تمنيت الرصاص رفيق دربي يسامر في لياليه جوادي
ولكن رغم بعد الدار عني أعاتب، أشتكى، أبكي، أنادي
بلادي والحروب لها صداها وفي قلبي يشن صدئ بلادي

• • •

أحبكو لأنكو مدادي الود بكم ويفضحي جدادي
كأنني ما ركبت الموج يوماً ولا أكتحلت جفوني بالرماد
لقد كنت اليتيم على ترابي أبيع بياض عمري بالسواد
إذا غفت العيون فزعت شوقاً إلى صوت يداعبه مناد
سيرهقني اشتياقي رغم اني مشيت مفازتي وكبا جوادي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الشوق الثاني

كان بين النخيل
وأرتحال الخطى العائرة
رغبة كافرة
من يبيع العليل
قطرة من مياه العراق التي لم تزل مُسكرة
يا دروبي التي ريحها هاجرة
أين ذاك الدليل
للتراب الذي ضمّه الحب بين الضلوع

فالحروب آلتني أحرقت بيتنا .. فاجرة

• • •

رغم انّ أليون

لم تنل غفوة من دويّ الرصاص

جاءني حلمها

قال : إن القصاص

مقبلٌ لامحال

فأعتمز أيا المطرب المفتدي للخيان

وأبني قبرك المستحيل

تحت جذع النخيل

• • •

بين هذي أليون التي بلّها حزنُها

المُحّ الان دمع اليتامى الذين ابتلوا ،

باغتراب الخطى عن تراب الطفولة

مهترتي جاءت الان كي تستفز الرجولة

من يجيد الصهيل

غيرها ؟

إنها ترفض النوم والأغنيات الكسولة

هايتها يا صراخ الرجال

إنها مهترتي

هاها .. رغم ان أليان

مقبلٌ لا محال

• • •

كان بين أرتحالي ،

وبين أشموع العليلة

خطوة حائرة
يا نخيل العراق الذي لا يباغ
الدنا ساهرة
والاغاني الجميلة
رفرفت فوق تلك العندوق التي دثرتها الدماء
يا نخيل العراق الذي لا يباغ
اشرب

اشرب
اشرب
كي تطول السماء
والغيوم الحليمة



غنت النصر تلك العيون الكحيلة
لم يذك بين جرح الأنين
والرصاص الذي لا يلين
<http://Archivebeta.com>

الف ليل و ليلة
فالحروف التي اطرت حزنها بالعويل
ناحله

والخيال الذي يرسم الآن فوق الجبين
مقبل رغم ان السنين
قاحلة

يا ديارتي التي ايقظتها الحروب
مهترتي صاهلة
والدروب
لفها المستحيل

فوق عنق اغترابي
آه انّ اشتياقي
للتراب الذي اغرقته ألدماء*
يستفزّ الحياث
راحلٌ .. راحلٌ .. راحلٌ ..
راحلٌ .. راحلٌ ..
راحلٌ ..
ضاق جبل أختناقني اختنقتُ

• • •



عمرو بن معد يكرب الزبيدي يلتحق بالقادسية



سليمان الفليح

«الى هذا الذي لم يمارس الكره يوماً، عاتقني حيناً كنت لا أعرف موقع هذا المكان الذي أقف به وشتمني في الصحراء لأنه يريدني كالغيمة، إلى أبي وصديقي أبي (وضأح) رغم شراسته ضدي» .

(١) بدء

• يسقط المدعون

بشعاراتهم

وحقاراتهم

ويظلّ الجبل شامخاً في النقاء العظيم .

□ اشارة لمن يرتدون النظارات المهشمة، اصدقائي القديون الذين يبهجهم
أن تصطبغ الصحراء بدم رفاقهم .

اعرف جيداً وأنا انهي هذه المسرحية التي تمتد قومية شعبي العظيم
أن ثمة العديد من أدعياء اليسار سيصمون (ناظم حكمت) بالنظرة
الضيقة ولكنني سأصرخ بهم بكل صلافة (اقرأوا كرامة الروس
القومية للينين - بعدها تعالوا حاسبوا ناظم حكمت .

» من ملحمة الشيخ بدر الدين لناظم حكمت (

البطاقة

* أنا عمرو الزبيدي، أحب الضياء وأعشق وجهه ليس وأمي تدعى

بأرض القبيلة ليلي السبية

أمتن الرفض

وحولت سيفي إلى بندقية

صديق الجباع أنا، سيفهم ضدّ شيوخ القبائل (تثليث) أرضي وتلقى

جبال العراة أفيائها للرعاة وأوشح أشجار أرضي بنار الصعاليك وجميع

جباع الصحارى عيالي .. !

شمس زبيد تمارس دورتها اللولبية

توردت الشمس فوق الجزيرة

صارت إلى الأرض أدنى من الرمح

هبت (لميس) لتحلب للاصطباح نياق أبيها
فيا لانتفاع الحرير الالهي يحتضن الجيد — يا لابتسامتها الشفقية،
يا لتوهج في الجبهة الممتدة
تألفت الشمس، صارت إلى الأرض أعلى من الرمح
ثار دخان المضارب (هوس) أحد الرعاء:—

«ملالوه مايشتون العوافي الشر لوهو غايب يحضرونه
وردوا علينا مير صرنا عيافي مانا هاج وربعنا يملحونه»
زوم لوجه أبي ثور

أبو ثور مازال يحلم ويهذي بببت من الشعر رغم ارتفاع الظهيره
«وبدت لميس كأنها .. قر الساء إذا تعدى»

أبو ثور ما كان يدري بأن الذين يحب سبوا (وبقى كالسيف فردا)
وما كان يدري بما حل في نومه بالعشيرة

ARCHIVE

http://Akhrit.com انتفاضة عمرو

توسطت الشمس صدر السماء
فقام ينفض أردانه من غبار الخيول التي ظنها حلمًا في النوم مرًا
«كأن ذراعيه ذراعا شملت .. واصبعه الوسطى كأنها شبرا!!»

رأى الأرض موحلة بالدماء
تلقت ذات اليمين وذات الشمال
تساءل أين لميس؟! فقيل: تها القبائل
— عجلوا بالغداء!!

قيل ان أخته ربحانه حينما لم تجد بيتًا تقدمه له على أثر الغزوة نغرت له
ثوراً تركه الغزاة فأكله وانتضى سيفه الصمصامة وامتنطى حصانه

الخطاف ولحق بالقوم واسترجع قبيلته من اعدائها وهو يشد باثيته
الشهيرة :

فلما هبطن رنيه بالقنا أرّن سحاب رعدته متجاوب
وسلت سيوف الهند مني ومنهم مخاريق نالتها أكف لواعب
بمنزلة فيها العوالي تركتها هشيم شجار كسرتها الحواطب

اجتماع طاريء لشيخ القبائل

بعد تلك الغزوة التي سرق عمرو من حواشي عباةاتهم البراقة ألقها
ووشى بها حد صمصامته قرروا أن يميتوه وجدأ على ليس وذلك عن
طريق تقاذفها بينهم ليظل طيلة عمره يبحث عنه .

*

تضاءلت الشمس مذ سرقوا قمر القلب

أين التوجه .. أين التوجه !!

غوا اليمن قليلاً نحو الشمال

أبو ثور قال : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

يبرون عظمي وهي جبر عظمهم شتاناها بيننا في كل ما سبب
أهوى بقاءهم جهدي وأكثر ما يهون أن اغتدي في حفرة التراب

الغض

والله لو سرت إلى بلاد العرب كلها ما خفت أن أغلب فيها ما لم يلقني
عبيداها أو حراها .. أما العبدان فعنترة العبسي والسليك ابن السلكة
الداهية المهلكة .. أما حراها فعامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث وكلهم
من الصعاليك .

الصعاليك يبرقون له

أبا ثور انا انتظرناك حولاً فحولاً

ولا حول ضاقت بنا الأرض
بل ضاق فينا بأن البلاد التي علمتنا الطهارة تستنكرين الطاهرين
أبا ثور هيا أبانا ، أبا الثائرين

تعال الينا

فمنك اقتدينا

ومنك ابتدينا

ومنك نثور على الجائرين

أبو ثور يتجه للقادسية

في احدى مطاراتنا الحديثة كتبت لافتة تقول :

مطلوب — بدوي شرس التقاطيع لربما يتسلل فوق حصان حديدي أو
طائرة انه يحمل سيفاً بحجم قوس قزح ويمتهن الرفض والعنف
والصلوكة .

أبا ثور سدت عليك جميع المنافذ فافتح بسيفك أرضاً لكل الصعاليك
لا تنبت المخبرين —

وعلق على سن رمحك يا سيدي علماً لجميع جناب البلاد التي تسرق
الخبز من أيدي الضعفاء ولا تصطفي من بينها سوى العاهرين
أبا ثور اسرع الينا فان لم نجيء الينا فأتنا اليك من السائرين

تلوكس

من عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص لقد أمددتك بألفي رجل
فشاورهما ولا تولهما . هما عمرو بن معد يكرب الزبيدي وطليحة الأسدي

طليحة يهوس

عرب احنا .. وعروبتنا تسري بدمانا

امعرب أحلك يا كحيله .. امعرب أحلك يا كحيله

صدام السيف واحنا ذراعه ..

وشاية عن أبي ثور

حينما توجه للكوفة ولقى فرسان العرب ومنهم خالد العقيعب أحل لهم
الحمر حتى قال عنه عينية :

نقول أبونور أحل حرامها وقول أبونور أصح واعرف
لهذا السبب ولربما لردته تجاهل بطولته التاريخ !!

تساؤلاته في الطريق إلى القادسية

* أبؤدي الطريق من القادسية نحو (لميس) إلى القدس
أبؤدي الطريق من القدس للقادسية، لست أميز، حرت، ولكن
لميس البهية ليست بكل الدروب التي ستؤدي إليها، كما حرت هي
حائرة

فها شعرها الآن يمتد ليلاً يتخطى جميع العواصم من صخرة القدس
غرباً إلى القادسية شرقاً
إلى أرتريا جنوباً إلى (سكندرون) شمالاً، إلى القاهرة
هكذا اصدقائي الصغاليك تكتمل الدائرة

الوصول

حينما وصل معد يكرب أرض القادسية ورأى حيرة العرب أمام القيلة
المدججة، امتشق صمصامه، وتوجه إلى مهرات أحد قادة الفرس وجز
بالسيف خرطوم فيله وارتنى حلتة الديباجية وعاد وهو ينشد :

● لقد علمت خيل الاعاجم أنني أنا الفارس الحامي اذا الناس احجموا
وأني غداة القادسية أذ اتوا بجمعهم ليث هصور غشمشُم
شدت على (مهران) لما لقينه بكفي صمصام العقيقه مخذم
فغادرته وهو يكبولحرجينه عليه نسر واقعات وحوم
بعدها شد العرب على الفرس وهزمهم شر هزيمة ..

ما لم يقله التاريخ عن أبي ثور

حينما قسم سعد الغنائم على حفظة القرآن كان حظ أبي ثور أقل من
حظ أي جندي لذلك احتد على سعد وهجاه :

مُلبتُ لقد نسيت جلاد عمرو وانت كخافج تلج الجارا
اطاعن دونك الاعداء شزراً .. واغشى البيض والاسل الحرارا
جزاك الله في غمطي عقوقاً وبعد الموت زقوماً ونارا..
بتوعده سعد، وبهجوه أيضاً

أبوعدني سعد وفي الكف صارم / سبمنع عني أن أذل واخضعا
فوالله لولا الله لاشيء غيره / لجلسته الصمصام أو بتقطعا

سار بعدها أبوثور هائماً على وجهه في بلاد الله يفشى حانات المدن
متقاعداً من مهنة الحرب

« حينما اتعبه البحث واعياه النشيج ، صار لا يتقن الاتكاء
حاملاً في قلبه الصحراء شعراً ونساء
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

وهو يرنو لصحاري دون رملي أو مياه أو سراب
وهو يرنو لصحاري دون رملي أو مياه أو سراب
فإذا النادل أقبل ..

يرتخي الهم الذي شد عروقه
وينادي وهو في الحانة وحده – حين يدعوك إلى الحرب عدو: قل
تفضل

بعد أن حقق كل مهماته ومات في روضة كرمشاه بين الري وقم لم
يرثه أحد سوى زوجته الجعفية حين قالت :

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروضة شخصاً لاضعيفاً ولا غمرا

فقل لزبيد بل لمذبح كلها فقد تم أبوتور سنانكم عمرا
ملاحظة :

الاصح من كل ما سبق بأن عمرو بن معد يكرب الزبيدي لم يزل يتجول في
المدائن ويرتدي الغترة الزرقاء وعمن الرفض ولم يزل يبحث عن (لمسه).



مأسائنا



يعمّتوب السبيعي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تَحْوِمُ فَوْقَ الْأَصْرِحَةِ	مَأْسَائُنَا الْمُجْتَنَحَةِ
مُخْزِنَةٍ .. وَمُفْرِحَةٍ	تَأْتِي لَنَا فِي صُورِ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَلْمَحَةٍ	تَأْخُذُ فِي أَشْكَالِهَا
ذَوَاتِنَا الْمُسَطَّحَةِ	مَأْسَائُنَا أَعْمَقُ مِنْ
عَوْرَاتِنَا .. مُثْفِتِحَةٍ	فَهِی بِنَا عَلَى مَدَى
لَا نَسْتَطِيعُ النُّخْنَةَ	وَنَحْنُ مِنْ هَيْبَتِهَا
بِالْصَّفَقَاتِ الزَّبِيحَةِ	بَلْ نَفْتَدِي خُسْرَانَهَا
وَقَدْ حَقَدْنَا الْأَمْلِحَةَ	سِلَاحُنَا صِيَاخُنَا

• • •

مَأْسَاتُنَا مَكْتُوبَةٌ لَنَا بِأَيْدٍ وَقَحَةٌ
فِي كُلِّ عَامٍ طَبْعَةٌ «مَزِيدَةٌ مُتَّقَحَةٌ»
تَقُولُ فِي جِقْدٍ لَنَا : أَنْتُمْ .. دُمَى مُلَوَّحَةٌ
أَمْجَادُكُمْ .. مَهْزَلَةٌ لَا تَقْتَضِيهَا الْمَضَلَّةُ
وَرِيحُكُمْ .. ذَاهِبَةٌ وَشَمْسُكُمْ مُصَوَّحَةٌ

• • •

مَأْسَاتُنَا سَاحِرَةٌ تُجِيدُ فَنَ «الشَّرْشَحَ»
تَجْعَلُنَا يَفَايَةً ظَلُورًا .. وَظُلُورًا مَمْسُحَةً
وَتَقْلِبُ الْحُزْنَ إِلَى مَنَاطِيرٍ مُسْتَقْبَحَةٍ
وَأَنْ دَعَيْنَا لِلْأَتَى نَطِيرُ دُونَ أَجْنَحَةٍ

• • •

مَأْسَاتُنَا شَيْطَانَةٌ صَوَامَةٌ مُسَبَّحَةٌ
إِفْطَارُهَا هَزَائِكٌ أَهْلِيَّةٌ .. وَمَذْبَحَةٌ
شَرَابُهَا دِمَائُنَا بَارِدَةٌ .. مُرْتَشَحَةٌ
نَحْيَا لَكِنِّي نَطْعَمُهَا كَرَامَةٌ مُجَرَّحَةٌ
تَلَوَّكُهَا مَمْسِيَةٌ وَتَزْدَرِيهَا مَصْبَحَةٌ

• • •

مَأْسَاتُنَا تَحْرُسُهَا قَوَاتِنَا الْمَسْلُحَةُ

• • •



تحولات الأزمة



د. خليفة الوقيان
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ١ -

في الزمان التراخي
تبتلع الأرض أحزانها
فتقيء بصحف الصباح
وجوه البغايا
ذبول الطواويس
ثرثرة العار
كلّ الطقوس القبيحة

تبدل كل الأفاعي
جلود الشتاء
وتخرج تختال
في ثوبها اللولبي المفضض
تحضن جلادها في المساء الذبيحة .

— ٢ —

في الزمان الرصاصي
يلبس « قورش » جتته
يرتدي العِمَّة
الخوذة الأزلية
يهدي جحافلنا
تحويلة القدس
يقناد أسرى اليهود
إلى بابل العربية
يبقى « نبوخذ » يرقب
كيف يدور الزمان
تغير أشكالها الكائنات
ويكتسب الماء لوناً جديداً

— ٣ —

في الزمان النحاسي
تصدق كل النبوءات
والحلم يحصد نبت البحار
يقَلَّب « سيف بن ذي يزن » سيفه
حائراً
باحثاً عن معين

يعيد إلى القدس أحلامها العسجدية
يبدل « كسرى » بـ « مسروق »
إن جحافل « وهرز » تقتطف النصر
والجزية السرمدية :

« من مثل « كسرى » شهنشاه الملوك له
أو مثل « بهرز » يوم الجيش إذ صالا »
« فاشرب هنيثا عليك التاج متكئا
في رأس « غمدان » دار منك محلا »

— ٤ —

في الزمان الخلاسي
تغتال اسماءها الأحرف العربية
تستبدل الضاد
تجتث أعراقها الأبجدية
يشكو « الإبادي » عدل الإمام « ابن شروان »
بالإباد الشقية :

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

« إنني أراكم وأرضاً تعجبون بها
مثل السفينة تغشى الوعث والقلبع »
« في كل يوم يستون الحراب لكم
لا يجمعون إذا ما غافل هجعا »
« وقد أظلكم من شطر ثغركم
هول له ظلم تغشاكم قلعاً »

— ٥ —

هنيثا لنوارنا
في ثغور العواصم

يقيمون صرحاً
من الخزف الفارسي المنمق
يبوسون كل اللحي والعمائم
يسلّون سيف الكرامات
والمعجزات
يعبدون مجد الرقى والتمايم
يصلّون في معبد النار
يمشون في ركب «ماني»
ليوم الخلاص
بديرون في حفل «قورش»
نخب الهوى البابلي المعتق .



غابة الملح



د. عبد الله العتيبي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مثلاً يفقد الشهاب اثتلاقه
لم يعد ينتمي لأي انطلاقه
كلما انست خطاه طريقاً
رده المنحنى ككاس مراقه
علموه الاغفاء حتى تساوى
خدر الحلم عنده والافاقه
صلبوه على مدى الجرح حتى
شك في قلبه وخاف اشتياقه

حذروه الغناء في مدن العشاق
وشدوا على الظنون وثاقه
حينما شاقه الرحيل تمطى
حوله هاجس عن الركب عاقه
تركوه كغابة الملح تعرى
كلما جدد الربيع انثلاقه
قالت الريح حدثتنا المعالي
عن شموخ هناك يبكي انسحاقه
جاءنا مرة ومازال فينا
من بقاياها ملمح وعراقه
قالت الريح كان حلم المراعي
بينه والربيع اندى صداقه
كان مرقى الخلود جسر التمامي
وأهيب النهر روجه واندفاقه
يعرف العاشقين، يسعى اليهم
ويحاكونه عطاء وطاقه
لودعى النور والليالي كهوف
لانتبه الاقار من كل طاقه
قالت الريح كان يوماً وكنا
وافترقنا وما اردنا فراقه
انما طبعنا الرحيل فاقعى
مسلماً خطوه لدرب معاقه
ايه يا نبضنا الذي ضاع فينا
مذ قطعنا بين العروق العلاقه
مذ نسينا أن الزمان حسام
سيد العصر من يجيد امتشاقه

مذ تساوى من يلبس الجرح ثوباً
 ويباهي ومن يراه حاقه
 نحن نبني هياكل النور لكن
 كم ضياء بنا وأدنا انبثاقه
 كلما لاح في سماننا هلال
 واستوى بذره صنعنا محاقه
 ايه يا صوتنا القديم اغشنا
 قبل أن ندمن الدجى وانغلاقه
 امن التائهين ترجو دليلاً ؟
 ومن البكم تستمد الطلاقه ؟
 انه الوهم يا حداة المطايا
 ليس في المركب أحد يا سراقه
 الدكتور عبدالله العنبي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



على هامش مجموعة



القصصية



الكلمة التي كتبها الاستاذ خالد سعود الزيد تقديما لمجموعة (الشرح)
القصصية للشاب القصاص محمد العجمي التي ستصدر قريبا عن دار
الربيعان للنشر.

لئن سبق الشعر القصة والمسرح في الكويت فلا عجب في ذلك . فالشعر
سباق دائما متقدم على ماسواه من الفنون الأخرى .

فلدى كل الأمم والشعوب تجد الشعر أولاً ، لا يسبقه من الفنون الجميلة سابق . ولكن هل كانت الأمة العربية لم تعرف المسرح والقصة ولا الفنون التشكيلية حقاً أم أنها مارست كل هذه الأشكال الفنية جميعها .

لا أريد أن أتحدث عن هذه القضية حديث مؤرخ مستقص لها . لا أريد أن أقف أمامها وقفة طويلة ولكنني أريد أن أُلْسها عرضاً . فالفضول يشيرها في نفسي كلما عزفت عنها .

فاذا يمت وجهي شطر أول قصة كُتبت في الكويت عام ١٩٢٩ نشرها خالد الفرج رحمه الله في مجلة الكويت لعبد العزيز الرشيد علمت لم هذا الفضول يطرقني .

إن هذه الباكورة التي ولدت مبكرة وهي ناضجة ، في بيئة تغلب عليها الأمية لتطرح أكثر من سؤال ، ويطل الفضول معها ملحا يتغني جواباً ويبحث عن أسباب .

وإن من يطالع تاريخ الفكر العربي ويقلب صفحاته يتأَن وبلا سأم يجد الجواب أمامه بارز الحروف واضح العبارة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com> :فن البلاغة

فالبلاغة وهي واحدة من أشكال الفنون الجميلة وصورة من صورها إن هذه البلاغة هي أهم ما يميز به الإنسان العربي في جاهليته وفي اسلامه حتى قال صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) . ولقد نزل القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتحدى . ومن هؤلاء الذين كان القرآن يتحداهم .

(قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن . لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .)

هل كان القرآن في هذه الآية الكريمة يتحدى إنسا وجنّاً ؟ أم أنه يتحدى جنساً بعينه جمع بلاغة الإنس والجن في عصره فلا يضارعه في البلاغة أحد ؟ .

بلى : إنه كان يتحدى بلغاء العرب وفصحاءهم وحدهم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم .) (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد .) (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا .) (قرآنا عربيا غير ذي عوج .)

أجل !! ما كان أحد مقصوداً بالتحدي سواهم . هم وحدهم المقصودون بهذا التحدي . (أقيضُ هذا أم أنتم لا تبصرون .)

فهل نشأت هذه البلاغة العربية من فراغ ؟ أم أنها جاءت محمولة على ألواح فكري ضخم عملاق ؟ .

دعك مما يقولون عن جاهليتهم . فجاهليتهم بالمفهوم القرآني كانت تعني شيئا آخر . فاللفظ القرآني ما كان يعني بالجاهلية غير الأخلاق الذميمة والأعمال الشائنة . فكلُّ خُلُقٍ ذمٍّ فهو جاهلي لعمالة . سواء أصدر عن قوم في القرون الأولى أم عن قوم في القرن العشرين . ولعل جاهلية القرن العشرين اليوم هي أسوأ من جاهلية الجاهليين أنفسهم .

فالجاهلية في القرآن لا تعني الجهل بعلوم الدنيا وعاداتها فإله خلقكم وما تعلمون . ولكنها تعني الجهل بالآخرة والمصير وفي هذا الجانب كان العرب مقصرين أيما تقصير .

وجاء الاسلام ليجعلهم أمة وسطا ، وسطا في الروح والمادة معا . كقائمة الميزان تُعلّقُ بها كُفَتَاهُ وتقوم بين الكفتين بالقسط ، لكيلا تجور إحدى الكفتين على الأخرى .

لقد بلغوا في الفصاحة والبلاغة مبلغا عزا مناله ، حتى صاروا صورة لبلغاء الإنس والجن في عصرهم بشهادة القرآن ومن أكبر من الله شهادة .

فهذا الإنسان الذي صاغ هذه اللغة الجميلة ، وسما بها هذا السمو الأمثل ، فجمع بها ما بين معطيات العقل والقلب وعبرَ بها عن حاجات الجسد والروح معا ، حتى غَطَّت كل جانب من جوانب الحياة بما لا نظير له في لغة من

لغات العالم، أليس هذا الانسان بقادر على أن يعطي في الأشكال الأخرى من الفنون الجميلة ما يرضي؟ بلى!! بيد أنني لأزعم فيما ليس لي به علم وأزعم غير ذلك محققا وبالدليل والشواهد.

المسرح :

فلست أزعم أنه اعطى في المسرح، رغم أن صلة البلاغة بنشأة المسرح واضحة ورغم أن صلة بين الانسان العربي وبين اليونان كانت قائمة في تلك المجهود السحيقة. ولا أزعم أنه لم يُعْطَ في المسرح شيئا فقصر غمدان لايعيننا بشاهد، رغم أن مجرد ذكر قصر كقصر غمدان يلقي في النفس ظللا توحى بقيام مسرح، وإن كنا لانملك الدليل ولانزعمه. ولكن الذي لا ريب فيه أن الانسان العربي اعطى في الشعر ما تجاوز أما كثيرة.

الغناء والموسيقى :

وأعطى في الغناء وما يشمل عليه الغناء من موسيقى وألحان. فلاسلام رغم صولته وهيبته على النفوس والألباب لم يقف حائلا بين أهل مكة وأهل المدينة وبين الغناء لقد عبر أهل مكة وأهل المدينة عن جمال الشعر بالرقص والغناء، وأقول الرقص والشواهد كثيرة تدل عليها الألفاظ المترادفة في اللغة وهو ما يوجب به المعجم العربي ويزخر. وهل الخَبَبُ إلا رقص؟ وهو ضرب من القُدُو، فيقال مشى خببا. وزفن أي رقص كتمايل طربا والكريم طروب كما يقولون. والرقص ليس مجونا مالم تكن النية فيه المجون وإنما الأعمال بالنيات.

لقد أعطى الانسان العربي في الشعر والغناء والرقص والبلاغة وضرب في كل منها بقسط وافر وكل هذه صور وأشكال للفنون الجميلة.

فاذا بقي اذن من الفنون الجميلة لم يعط فيه العرب ولم يبرزوا فيها؟

لقد بقي النحت والتصوير وفن البناء والخط والقصة؟ سنتحدث عن كل هذه المواضيع بايجاز لكي نصل بداية هذا الحديث بنهايته، ولكي نصل من

خلال هذه النقاط إلى ملتقى بحثنا الذي إليه هدفنا وهو القصة وأسباب نشأتها في الكويت منذ أكثر من خمسين عاماً .

النحت والتصوير:

لقد قضى الإسلام على النحت لِمَا في هذا الفن من صُور مجسّدة في تماثيل وأصنام وأوثان، وعلى هذا النحو يُفهم معنى تحريم الإسلام للتصوير. فإِذَا كَانَ الإسلام يعني بالتصوير محاكاة الطبيعة وجمال الطبيعة ولا ما في هذه الطبيعة من حركة وسكون. ولكنه كان يعني النحت وحده لما في النحت من قوة جذب النفوس في بدائية تكوينها إلى عبادة الأوثان.

هكذا كان إدراك الأوائِل لمعنى التحريم على ما نعتقد، فمن التصوير قديم في عالمنا العربي وعالمنا الإسلامي وكانت له مدارس ذات تمايز وتقاليد، فمن أهم مدارس مدرسة بغداد ومن أقدم المخطوطات التي تنسب إلى هذه المدرسة (كتاب البيطرة) وفيه صور الأطباء والمرضى وصور للعمليات الجراحية التي كان يجريها الأطباء على المرضى. ولقد صوّر الفنانون مقامات الحريري بأشخاصها الآدمية ويكلّل ما تزخر به من حياة اجتماعية وتقاليد دينية وبيئية وأسواق ومصانع وحقول. لقد صور الفنان العربي هذه المقامات فجسّد الكلمات في صور ولوحات محسوسة ملموسة ثم جاءت من بعد ذلك مدارس مغولية وتيمورية، ومدارس أخرى صوّرت أشعار التصوف ومدلولاتها في الخطيئة والنشأة والثواب والعقاب.

فهذه الصور وهذه اللوحات كلها تقود إلى هذا الفهم الذي فهمناه من معنى تحريم التصوير في الإسلام.

فالإسلام حرم التصوير بمعنى النحت الذي يقود إلى صناعة الأوثان وعبادة الأصنام أما تصوير الطبيعة وما فيها من جمال ظاهر وخفي، وإنسان وشجر، ونبات وحيوان وساء وماء، فذلك ما لا سبيل إلى هضمه وما أظن تحريم النحت إلا محصوراً في فترة زمنية معينة، ومحدوداً في وقت كان الناس مشدودين فيه إلى جاهليتهم الأولى، حديثي عهد بهذا الدين الجديد (قل من

حرّم زينة الله على عباده) .

وبعد، فلقد قلنا في التصوير رأينا كيف كان هذا الفن قائماً على أحسن وجه وأتم صورة، أما فن البناء والخط فالقاء نظرة على ما كتبه الكاتبون عن فن العمارة العربي كافية لإعطائنا فكرة عما للعرب من يد في فن البناء كانت شواهد في الأندلس وصقلية وفي كل بلاد المعمورة قائمة . ويكفي أن نعلم أن للخط العربي ستة وعشرين نوعاً لا يستعمل منه في هذه الأيام إلا القليل الأقل ويكاد الخط العربي يكون الخط الوحيد في العالم ذا المدارس المتعددة والمذاهب الفنية الكثيرة . وهناك فن النقش وهو متمم لفن البناء والخط فلقد بلغوا في هذا الجانب شأواً رفيعاً .

فن القصة :

وأعرق هذه الفنون وأقدمها وأصقها بروح هذه الأمة وأسبقها هو فن القصة .

ففي الوقت الذي ينفيها بعض شببتها نرى أن المستشرقين وقَّعَ هم على ملتهم يؤكدونها ويؤكدون أنهم نهلوها من تراثنا نهلاً واستلواها استلالاً .

ولانعجب حين يتحدث شبائنا عن الكوميديا الألهية وجحيم دانتي وعن (الديكاميرون) لبوكاتشو فتراهم يطنبون في مدحها ويسرفون إسراف من لا يفقه من تراثه شيئاً ومن لا يملك من الذوق شيئاً أبداً، بل ويحاولون جادين نفي صلة هذين العاملين بالتراث العربي كأنّ لم يكن بينهم وبين هذا التراث نسب وصهر .

إنّ هذه اللغة الجميلة التي وَسَّعَتِ القرآنَ ووسمها القرآنُ وأنجبت أرقى فنّاً من الفنون الجميلة ألا وهو البلاغة في أسمى مداركها . وهل هناك أسمى من الكلمة البليغة، والعبارة الفصيحة النبيغة ؟

لست أدري كيف جاز للغة هذا شأنها ولأمة صنعت كلّ هذا المعجز أن تقتصر فيما هو تابع لكل هذه القمم من الخلق والإبداع .

إن القصة التي ظنوا أنها لم تكن موجودة هي التي لولاها مانسج الغرب روائعه ولا أخرج بدائعه . (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) .
إن القصة في القرآن وردت تتحدى . وهل يتحدى القرآن ما ليس موجوداً او شيئاً لم يكن مولوداً ؟ وهل يتحدى القرآن ضعيفاً مهزوز التكوين مهمزاً ؟

(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)
ألا فاقروا ما كتبه سيد قطب عن القصة في القرآن وإن لم يصل إلى ذروة المبتغى ولا قمة المنال . واقروا ما كتبه سواء .
وبعد فهل أدركت يا عزيزي القارئ لماذا يطرقني هذا الفضول ويدق بابي كلما يمتد وجهي شطر أول تجربة قصصية كتبها خالد الفرج في عام ١٩٢٩ ؟

داحس والغبراء :
هل قرأت مثلاً قرأت حُرث داحس والغبراء التي قامت بين هاتين القبيلتين من العرب (عبس وذبيان) ؟ هل قرأت فيها قصة هذين الرجلين العظيمين (هرم بن سنان) و(الحارث بن عوف) وتحملها أعباء ديات القتلى . وإتمامها الصلح بين هذين الحيين المتقاتلين ؟ وهل عرفت دور تلك المرأة العربية النبيلة في إصلاح أمر هذين الحيين وموقفها ليلة زفافها من زوجها الحارث بن عوف وحضها له لإصلاح أحوال أمها ؟

وهل قرأت مثلي دور تلك المرأة المزدولة الذميمة المدسوسة لإثارة الحرب بين القبائل العدنانية بعد أن ترغم كليب أمر القبائل العدنانية ووحد الأمة ؟
التراث في الأدب الشعبي :

وهل عرفت كيف استثمر الإنسان العربي البسيط هذه القصص فترجها إلى أدب شعبي يعبر عن ألمه وأمله ؟

أنظر كيف استثمر الأدب الشعبي هذه القصص والبطولات وحولها إلى ملاحم خالدة تقشعر لقراءتها الأبدان؟

ولو كان هذا الأدب الشعبي في غير هذه الأمة في قصة كقصّة بني هلال أو قصّة عنصرة والزير وغير ذلك من ملاحم كبرى لرأيت الغربيين كيف ينشطون ليجعلوا من ذلك أدبا يُحتذى.

ولقد استطاع الأدب الشعبي أن يستثمر تلك القصص وجاء المسرحيون اليوم فهم يفعلون ذلك فيستثمرون هذا التراث ويستحوونه فهل نواصل معهم المسيرة ونبارك خطاهم أم نقف حيث وقفوا.

وكفى هذه الأمة عظمة وفخراً ما أخرجته للإنسانية من حكايات (كلىة ودمنة) وما طالعتنا به وطالعت به الإنسانية جمعاء من حكايات (ألف ليلة وليلة)، وكما قال الناقد العربي الكبير المرحوم مارون عبود (إن الأدب العربي هو أبوالقصّة في العالم). وينقل عن المستشرق (جب) قوله: إن الغرب لم يعرف القصّة قبل اطلاعه على (ألف ليلة وليلة) أما إذا لم تكن (ألف ليلة وليلة) وقصّة عشرة على غير نسق القصّة اليوم. فإني أردك إلى ردّ قاله مارون عبود رحمه الله: (هل لي أن أطلب من أجد جدي أنّ يلبس مثلي. وهل إذا لم يلبس مثلي أعده عارياً؟ فجدي لم يكن من العراة، ولكنه ماشى زمانه ولكل زمان زي).

لم يكن الإنسان العربي اليوم مبتور الجذور بل هو سلالة المُعْطِينَ في كل جانب من جوانب الحياة. فقصة (منيرة) (١) التي كتبها خالد الفرج لو قرأتها وتدبرتها لوجدت أنها سليلٌ مجلّد قصصي باذخ، ثم إنها — رغم كونها من البدايات في الكويت — قصة أخذت بكل صفات القصّة الحديثة من حيث الشكل الفني، وواكبت عصر النهضة للأمة في مضمونها وأهدافها.

قصص كويتية أخرى:

انك لو سرت معي قليلا عبر التاريخ لنبحث بعد هذه القصّة عن قصص

أخرى في حدود ذلك التاريخ فلن نجد لها أثراً إلا بعد عشرين عاماً. لماذا توقفت القصة في الكويت عشرين عاماً؟ وهل توقفت حقاً أم أنها لم تجد مراحاً يَسْعُها ومناخاً يَخْفِضُ لها جناحه، أم أن ظروفها أخرى وقت حائلًا بينها وبين الظهور؟

لقد رأينا خالد الفرج بعد محاولته تلك يتوجه نحو القصة الشعرية فيضع ملاحم شعرية عن معارك عبدالعزيز آل سعود وعن حياته.

إن النزعة القصصية المغروزة فيه وجدت متنفساً لها آخر في الشعر. فسكنت ذاتها في الشعر.

ولعل هذا الشعر هو أكثر سيورة من القصة الثرية وأكثر ملائمة. ولعلّه يتمشى مع ظروف تلك المرحلة التي عاشها خالد الفرج في وسط الجزيرة العربية، ثم إن شعره الذي قاله عن قضية فلسطين لو تتبعته خيوطه من بدايتها حتى وفاة خالد الفرج عام ١٩٥٤ (٢) لرأيت بشكل ملحمة مستقلة عن فلسطين، كل قطعة منه تمثل فصلاً من فصول المأساة.

ولكن لماذا لم يكتب بعد قصة (منيرة) قصة أخرى على منوالها؟ ولماذا احتجبت القصة من بعد قصته عشرين عاماً في الكويت؟

علاقة القصة بالصحافة:

يجب أن ندرك بادئ ذي بدء وعلينا أن نعلم أن نشأة القصة الحديثة في الكويت علاقة حميمة بالصحافة. فبلاد قصة (منيرة) لخالد الفرج مدين لميلاد مجلة (الكويت) لعبدالعزیز الرشيد. فلما توقفت مجلة (الكويت) بعد سنتين من صدورها احتجبت القصة، وتوقفت عن الظهور.

إذن هي علاقة متلازمة حميمة بين القصة الحديثة في الكويت وبين الصحافة فإذا أردت القصة فابحث عن الصحافة، وإذا وجدت إحداها فإنك واجد وعائر على الأخرى لاهالة. ولا أريد أن أدخل في الأسباب فلا تحي

الدكتور سليمان الشطي رأي في هذا ربما كتبه فكفاني. وإن لم يكتبه
فسأكتبه في غير هذا الموضع.

واعلم أن احتجاب القصة وتوقفها عن الظهور في تلك الحقبة لا يعني إنها
ماتت في صدور أصحابها وقُيّرت.

أول رواية :

ففي عام ١٩٤٨ صدرت أول رواية كويتية مطبوعة بصورة مستقلة في
كتاب، كتبها المرحوم فرحان راشد الفرحان. قلت انها صدرت عام ١٩٤٨
رغم أنه لا يوجد على غلافها ولا في أثنائها ما يشير إلى سنة طبعها بيد أن
(فرحان) رحمه الله أعطى قصته (آلام صديق) لمن قدمها له وقد أرخ المقدم
مقدمته (٣) (في أول صفر ١٣٦٧ هـ) وهذا التاريخ الهجري يوافق ١٤
ديسمبر من العام ١٩٤٧ الميلادي.

وهذا يعني أن (فرحان) كتب قصته (آلام صديق) قبل هذا التاريخ
ولعلها طبعت ونشرت إلى الأسواق في عام ١٩٤٨ فإننا نجد أنه أهدى
نسخة منها بعد أن طبع للمكتبة العامة في عام ١٩٤٩م والاهداء لا يعني
عام طبعها فقد يهدي المؤلف مؤلفاته إلى هيئة أو شخص بعد سنة أو سنوات
من طبعها لذا فإني أرى أنها طبعت عام ١٩٤٨ وأكثر من عام على وجودها
في المطبعة محال.

وهذا يشير إلى أن بعض من ملكوا موهبة القصة قد كتبوا القصة وإن لم
ينشروها لعدم وجود وسائل للنشر، وسنكشف ذلك كله في مقدمة الجزء
الرابع من كتابنا (أدباء الكويت في قرنين) أو في غيره.

ولربما كتب (فرحان) قصته في عام ١٩٤٧ أو قبل هذا العام بأعوام.
ومن يدري؟

ثم نشطت الأقلام واندفعت جميعها تكتب في القصة وغير القصة وتنشر
نفساتها في مجلة (البعثة) التي صدرت عن طلبة الكويت في القاهرة وفي

مجلة (كاظمة) - أول مجلة تطبع في الكويت . ولقد وجد الكاتبون في مجلة (البعثة) وفي مجلة (كاظمة) متنفساً لهم فراحوا ينشرون انتاجهم الذي ظل حبيساً في صدورهم أو في الأدراج . ومن عجب أن نرى أن البدايات في المرحلة الثانية كلها مؤرخة في عام ١٩٤٨ وقليل منها عام ١٩٤٧ وذلك إذا اعتبرنا قصة (منيرة) تمثل المرحلة الأولى .

فشهد الدويري نشر أولى قصصه (من الواقع) في يوليو عام ١٩٤٨ ثم تلاه فاضل خلف بعد شهر واحد فنشر قصته الأولى (من نكبات الدهر) في أغسطس عام ١٩٤٨ ، وكلاهما نشر بداياته في مجلة كاظمة ، أما جاسم القطامي فقد نشر محاولته الأولى في شهر أغسطس عام ١٩٤٨ في مجلة البعثة ثم تتابع القطر فنشروا في هذا العام وحده ما يزيد على عشرين قصة في البعثة وكاظمة . ومن الجدير بالذكر أن (خالد خلف) نشر قبل هؤلاء جميعاً في مارس من عام ١٩٤٧ قصة بعنوان (بين الماء والسماء) في مجلة البعثة وإن كانت أقرب إلى الخاطرة إلا أنها تسجل في الريادات . رغم أن قصة (ذئب الصحراء) لعبد العزيز حسين هي أول ما يجب أن نطلق عليه قصة في هذه المرحلة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فهذا الكم المخزون الذي انفجر كله في عام واحد ثم تتالى متتابع القطرات متنامياً خلال هذه الأعوام التي تلت يعني أنه كان موجوداً وأنه كان مولوداً قبل العام ١٩٤٨ وإن لم يسجل في سجل المواليد . فعدم وجود سجل للمواليد لا يعني أن الناس لا يتزاوجون ولا يتوالدون . وعدم نشر هذه القصص لا يعني عدم وجودها قبل هذا التاريخ قطعاً .

قصة الدفة :

ثم تأتى المرحلة الثالثة : ويقف على قتها سليمان الشطي الذي نشر أولى محاولات جيل المرحلة الثالثة بتاريخ ٢٩/١١/١٩٦٢ في جريدة (صوت الخليج) الاسبوعية . لقد نشر قصته (الدفة) وكان القدر يعني أن هذه القصة ستكون دقة السفينة القصصية لهذا الجيل الذي نعيشه وللأجيال القادمة .

ففي قصة (الدفة) وأخواتها من مجموعة الدكتور سليمان الشطي في (الصوت الخافت) (٤) نرى كل تقنية القصة الحديثة، بكل أثوابها الفنية مبثوثة في هذه المجموعة.

فضلاً عما يختزنه سليمان الشطي من ثقافة عربية واسعة ونهله من نفائس التراث العربي نراه يمتلك حصيلة من الثقافة عريضة في التراث الإنساني قديمه ومحدثه حتى يكاد يكون مثلاً للشباب العربي الذي نأمله.

ومما أذكره أنني كنت ممن استنكر وأنكر على سليمان هذا اللون من الأشكال الذي جاء بحمله إلينا عبر قصصه فإن من هذه الألوان الفنية ألوانا لم نكن قد ألفناها بعد.

صراع في الرابطة:

وكنّا في الرابطة حينذاك صراعاً حاداً بين ما هو كائن وبين ما هو واجب أن يكون.

كنّا جميعاً من الشباب نشق طريقنا الصعب مصرين عليه، وكنت أكبر هؤلاء الشباب مثلاً، وكنا قسمين فنا المتوثب وهذا المتيب، وكنت ويعلم الله أنني من المتيبين، غير أن قلبي على هذه المجموعة المتوثبة، أصارع عنهم إذا خلا منهم المجلس ولا أخفي سخطي عليهم إذا كانوا معي مجتمعين ولم نزل والله الحمد مجتمعين.

وفي شهر فبراير من عام ١٩٦٧ نشر سليمان الشطي قصته (الصوت الخافت) في مجلة البيان، فلم أققه هذا الشكل الوافد الذي جاء به إلينا سليمان، فكنت عليه من الثائرين وأعنت عليه الثائرين من الذين لم يفقهوا مثلي قصته.

وثار علينا مناصروه، وحصروني من كل صوب. وفي يوم من أيامنا تلك جاءني من أخبرني أن الدكتور شاكر مصطفى التقى بتلميذه سليمان الشطي بالجامعة وحياء مباركا لسليمان هذه الوثبة التي خرجت بالقصة عن ثوبها القديم قائلاً: (هذا ما حام حوله الآخرون ووقع عليه سليمان).

وأهيجني هذا الانتصار لسليمان من أستاذه ومعلمه غير أنني أخفيت هذا الابتهاج في صدري مظهراً سخطي عليه لكيلا تتكرر هذه التجربة التي لم يألفها ذوقي القديم.

دفاع عن الصوت الخافت:

وجاء زميل لسليمان في الجامعة صديقنا (طارق عبدالله) وهو اليوم مدرس في جامعة الكويت وكتب عن قصة سليمان (الصوت الخافت) في العدد التالي من البيان كلمة بعنوان: (الذين لم يفهموها) وكان يعينني بها ولا أظن غير ذلك وأسجل نصها هنا:

(في العدد الأخير من مجلة (البيان) قرأنا قصة لسليمان الشطي، دون عنوان (ه) وهي آخر ما كتبه الأديب الشاب، بعد أن قدم لنا (الدقة) و(الأصابع المقطوعة) و(الذكرى المفقودة) و(الشيء الجديد) و(ماذا بعد).

ولقد أعرب بعض الذين قرأوا القصة في العدد الماضي عن عدم فهمهم لما تعنيه القصة.. ووصفوها بأنها لا تعني شيئاً، لأنها مجموعة من الحوادث المفككة التي فقدت عنصر التطور حتى تستقر في نهاية مفهومة، كما في بقية القصص.

والذي استنتجته أن هؤلاء يريدون حكاية — تبدأ كحكايات الأطفال — وهم لم يقرأوا قصصاً إلا من هذا النوع، فلذا يعتبرون ما كتبه سليمان الشطي ليس قصة .. إنما مجرد خواطر.

والواقع، أننا لو طرحنا التعريف التقليدي للقصة جانباً .. واعتبرنا أن القصة ليست قالباً بقدر ما هي تعبير .. وجدنا أن الذي نشر في العدد الماضي بدون اسم، هي قصة حقيقية غنية وحاشدة، دسمة بالأحداث والشخصيات.

القصة تقدم للقارئ شخصيات متباينة، وأحداثاً متعددة، تجري تصرفاتها في نفس اللحظة .. فلو وزعنا حواسنا المحدودة لتعيش لحظة ما بكل

امتداداتها المكانية والزمانية وطالبتها بتقرير عن هذه اللحظة ، لأتينا بتقرير عن أحداث مفككة .. لارابط بينها ، تماما كقصة الشطي .. على أن القصة تمتاز عن تقرير الحواس بالجمع بين الأحداث والأشخاص في النهاية بنفس اللحظة والمكان .

فالموقف الأول : رجل خرج يبحث عن عمل ، كما يخرج كل يوم باحثاً .. ولن يجد .

والموقف الثاني : البنت التي تنتظر أباه دائماً .

والموقف الثالث : الحساء التي يفتن بها الجميع .

والموقف الرابع : صاحب العمارة الذي يهدد بالقاء المستأجرة العجوز في الشارع .. وبعد تهديده تدهس سيارته كلباً .. وينظر ليرى كلبة تحاول جر الجثة الدامية إلى مكان أكثر أمناً من تشوهات جديدة ...

موقفان في موقف .. الإنسان الذي يتشدد بالمثل حيال أخيه الإنسان بينما يتصرف تجاهه دون رحمة .. والحيوان الذي يدعي بجهلنا بأنه فقد القيم التي نعرفها يتفوق على الإنسان في إنسانيته ! سخرية بليغة من ادعاءات الإنسان ، في حادثة بسيطة لم يتبعها الكاتب بلهجة تأنيبية .. بل تركها للقارئ ، يستمتع بغنية الصورة .

والموقف الخامس : الحساء تغري شاباً في الطريق ، في أثناء عودة الرجل الباحث دائماً عن عمل .. والبنت منتظرة عودة أبيها .. هؤلاء يجتمعون في نفس اللحظة ونفس المكان بدون فاصل . يلحق الشاب الحساء ليدس يده بين فخذيها .. ويفلت بسرعة لتجد أمامها الرجل الباحث عن عمل فتنهال عليه ضرباً وركلاً .. ولا يستطيع أن يرد لأنه مقطوع اليدين .. !

هذه هي المواقف بتبسيط أخشى أن أكون فيها قد شوهت القصة ، لأنها ليست مجرد هياكل بقدر ما كانت استعراضاً وتصويراً دقيقاً لإحساسات كل شخصية وتصرفاتها ..

وإذا كان هناك شيء استنتجته فهو أن الرمزية تطل برأسها من بين هذه المجموعة من المواقف لتختفي بسرعة، ففي الموقف الأخير يصيح الرجل بالبنت في الشرفة إنهم لن يسمعوك .. صوتك خافت .. خافت .. من فوق تصرخين .. من يسمعك ؟

الرجل مظلوم .. والبنت تمثل العدالة .. ولكن العدالة قلما يسمع لها صوت .. ولهذا السبب قال الكاتب في أول السطر: الصوت الخافت .. كان عنوانا لهذه القصة ..

إذن ما الذي جعل هؤلاء يقولون: إنها غير مفهومة ربما لأن هذه هي المرة الأولى التي يقرأون فيها قصة من هذا النوع .. تقدم أحداث اللحظة في أكثر من مكان لتعود فتربط بينها في نهاية المطاف .

ولكنه على أية حال .. ليس ذنب الكاتب .. ولن يكون حتماً ذنب القراء .. لأننا في هذه المرحلة نحتاج إلى ناقد .. والناقد صنف من البضائع نادر عندنا .. أقولها بصوت خافت .

هذا هو ملخص عن تاريخ القصة في الكويت وشيء مما كان بيننا يجري في رابطة الأدباء، وما زال بيننا يجري، لا نقطعه ولا نمنعه، سنة الحياة بين قديمها وحديثها . رويته لعل فيه ما يشفي لتطلع يريد أن يلم بهذا الجانب إلما ما غائما، وينظر فيه نظرة تغنيه، ووضعت بين يدي هذه المجموعة القصصية لقصاص شاب عزيز على نفسي، ولقد شاء أن يطلق على مجموعته اسم (الشرح) وهو الاسم الذي أطلقه على إحدى قصصه القصار العشر في هذا الكتاب .

«والعجمي» قريب الجذور من البادية، ولقد كان أولى به أن يدنا بخيوط ينسجها على منوال فطرتة، فهي ما زالت غضة ندية عطرة، لم يغشاها هذا الزيف الذي غشى المدينة فطحن إنسانها، ولم يحرفه تيار الرغبة في الشهرة عن طريق أصحاب الكلمة، الزناة بالكلمة، بيد أنني أخشى عليه العجلة وأتخوف عليه منها حتى لا يلقيه التسرع إلى ما لا يحمد .

ومن يطالع هذه المجموعة يطالع أفكاراً شتى يقفز بعضها على بعض ، فهي بحاجة إلى فكر جاذ متزن يربطها وينسق أعضائها تنسيقاً يليق بقدمية الكلمة ليقدمها للناس شيئاً سوياً .

« فالعجمي » يحتاج إلى شيء من التريث يمدّ به أنفاسه مدّاً يحضنها ، فليس بالكثرة الوصول ، ولكن قد يدرك المتأني بعض حاجته ، وليس كل حاجته .

لقد أخرج كثيراً من قصصه إلى فجاج من الفوضى غير المتناسقة ، وأجهض كثيراً من أفكاره حتى كاد يهلكها جميعاً ، ولولا لحات في (الشرح) وأخوات لها قليلات ، لقلت له أمشك عليك قلمك ، ولا تخرج هذه المجموعة للناس ، ففي التأني سلامة لا تخشى عاقبتها .

وإني حين قرأت هذه المجموعة لم أجد فيها شيئاً يغريني بها غير كونها أملاً واعداً ، فقلت لنفسي كفي أن أراها أملاً واعداً ، لتكون لصاحبها حافزاً . حيث أرجو أن لا يلهيه القفز وراء كل موضوع يخطر بباله ، فيخرجه للناس فجاً غير مدروس فيندم حين لا يبقى معه فرصة للخروج من مأزق الندم .

فما زال العجمي شاباً يتنزه حيوية ووراءة بما يجلبه أن يبذله من الجهد في القراءة والتمعن ما وراءه فهو من مواليد عام ١٩٥٦ وتخرج من الثانوية عام ١٩٧٦ ثم التحق بمعهد الكويت للتكنولوجيا الطبيعية قسم كيمياء صناعية وأنهى الدراسة في المعهد عام ١٩٨٠ وعمل في شركة صناعة الكيماويات البترولية منذ ذلك العام . فنحن نرى من هذا أن لاهلاقة لعمله بعبائه الأدبي إلا أن يكون رافداً . فهو شاب موهوب خلق ليغطي في القصة كما يعطي فيها الموهوبون إن تأني .

فرحبنا به على ساحة الأدب فهي تسعه وتسع معه الكثيرين من الجاذين ، إذا لم تذهب به الفوضى مذهبها ، وإذا كان قادراً على ضبط نفسه وربطها وتسليكها في قنوات الجد لا العجلة ، والتريث لا القفز وراء كل سراب .

خالد سعود الزيد

(١) طالع القصة في آخر صفحات كتابنا «خالد الفرج حياته وأثاره» في طبعته الثانية ١٩٧٩ .
(مؤسسة الربيعان للطباعة والنشر) .

(٢) طالع : القصة العربية في الشعر الكويتي لخليفة الوقيان .

(٣) سنشر هذه القصة بمقدمتها في الجزء الرابع من أدياء الكويت في قرنين مع تراث فرحان مقروناً
بترجمته إن شاء الله في هذا العام .

(٤) صدرت مجموعة (الصوت الخافت) بتاريخ ١٩٧٠ .

(٥) حين نشر سليمان الشطي (الصوت الخافت) لم يجعل لها عنوانا .





امرأة في إثناء والفتاة الشرقية بين الثورة والعبودية

بقلم: عبد المحسن الشمري

صدرت للكاتبة الكويتية ليلى العثمان ثلاث مجموعات قصصية هي على التوالي : (امرأة في إثناء ١٩٧٦)، (الرحيل ١٩٧٩)، (في الليل تأتي العيون ١٩٨٠) وأعيد طبع المجموعة القصصية الأولى مرة أخرى ١٩٨١. وهي بذلك من أكثر الكتاب والكاتبات في الكويت نشاطاً لاسيما إذا عرفنا أن

كل مجموعة قصصية تحتوي على ما لا يقل عن عشر قصص قصيرة. هذا إلى جانب نشاطات الكاتبة الأدبية والصحفية الأخرى.

ونحاول هنا الوقوف عند مجموعتها الأولى (امرأة في إناء)، ومع أنها نظرة نقدية تأتي متأخرة إلا أنها ستوضح الكثير عند مواصلة الحديث حول المجموعتين الأخرتين في وقت قريب.

(امرأة في إناء) تضم بين طياتها (١٤) قصة قصيرة، كتبت في فترات زمنية مختلفة من حياة الكاتبة الأدبية ولم تشر إلى تواريخها، ولا ندري هل ترتيب القصص جاء تبعاً لتاريخ كتابة كل قصة أم لسبب فني آخر؟ لكن من الواضح أن هناك تطوراً في أسلوب وطرح الكاتبة لكل قصة باستثناء القصة الأخيرة. وفي هذه القصص أول ما يطلعا الجرأة والصراحة التي يتميز بها أدب الكاتبة وأسلوبها السهل البعيد عن التعقيد، وهي حسنة وأية حسنة، ثم الاقدام على خوض قضية الفتاة الشرقية - أو بشكل أدق الكويتية - بصراحة فائقة بعيداً عن الخوف والتردد أو الخجل من الطرح. وتصل هذه الجرأة في الطرح حد الإعجاب، لقد طرحت القصص ولأول مرة (هذا قبل ١٩٧٦) أفكاراً لا يمكن للفتاة أن تطرحها، وهذه الجرأة التي قد يعتبرها البعض وقاحة إلا أنها صراحة مطلوبة وضرورية أن تتوفر لدى الكاتبة. وإن كان الطرح لدى ليلى العثمان ليس بالقوة والتأثير اللذين نتوقعهما من كاتبة مارست الكتابة منذ فترة طويلة نسبياً. لكن المهم أنها حاولت وأشارت وليس المهم أين نجحت، وأين أخفقت.

نجد صوت المرأة الشرقية (ونقصد عند كلمة الشرقية - الكويتية) واضحاً في هذه القصص .. نجد آلامها .. همومها .. عذاباتها .. مشاكلها .. ونغتنب لذلك ولكن نفاجأ بالطرح السريع .. والخفيف، لم تدخل الكاتبة إلى المشاعر والأحاسيس الكامنة في أعماق الفتاة ولم تلج إلى داخل نفسها .. بل بقيت متعلقة بالسطح، تصور هموم الفتاة .. الزوجة .. المطلقة

.. الفتاة المراهقة .. الساقطة .. المريضة .. فهي ابنة هذا المجتمع ، وهذه البيئة الكويتية التي ترتبط بالبيئة العربية ، أو هي جزء منها . وتصور الكاتبة النظرة المشاهدة للفتاة . فترى فيها متعة ومتاعاً بيتياً وجسدياً فقط . وهكذا جاءت فتاة ليلى العثمان فتاة المتعة الجسدية والمتعة المنزلية للرجل ، وحاولت تصوير العلاقة بين الرجل والمرأة من هذه الرؤية ، المرأة عند ليلى العثمان هي المرأة الجديدة التي تحاول الثورة على عبودية الرجل لها .. أو هي تريدها ، ولكنها قلما تثور . تطالب بالثورة والتحرر ولكنها لا تثور . فهي ما زالت مرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي يقيد ، ويمنعها من الثورة . لذا جاءت مستكينة لم تحاول طرح البديل ، أو الثورة . وانعدم دور الفتاة المثقفة التي ضاعت ولم يتضح لها أي دور خلال قصص المجموعة .

الفتاة هنا ان ثارت فإن ثورتها سطحية وبضياء . ولأسباب لم تحلقها هي نفسها ، بل ساعدها الرجل أو ظرف تدخل فيه الرجل ، ففي قصة (الفصل القادم) نجد المرأة مجرد نعلجة في حظيرة الرجل ، تعمل نفسها بالبكاء ، والنحيب والحسرة ، ولا تستطيع عمل شيء آخر ، وعندما تعلم أن ابنها سوف تتزوج لا يهمها من ستتزوج ، بل تسعد بمجرد سماعها خبر الزواج ، لأنها ترى في زواج ابنها حرية لها . وانطلاقاً نحو عالم آخر لا تعتقد أنها سوف تسلكه ، فهي مستكينة لسبب واحد ظاهر هو الخوف على حياة ابنها . ولكن هل ستضمن أن ابنها ستكون سعيدة بزواجها ؟ أليست أنانية منها تلك النظرة ؟

في (الشوب الآخر) نجد المرأة تنقاد نحو السقوط ، وبيع جسدها ، لا تثور في وجه زوجها الذي يجبرها نحو هذا السقوط ، والتمرغ بين أحضان الرجال طلباً للشهرة ، ولكنها عندما تلتقي (بجازم) تجد فيه المنقذ ، والدافع للثورة التي لم ولن تحدث . بل مجرد خطة نشك باتخاذها خاصة وأن انقيادها وراء الزوج الذي استطاع خلال ستين طويلة اقناعها بالتجارة بجسدها ، وجعلها ترضى بهذه التجارة وتجدها فيها نوعاً من المتعة من الصعب أن تتنازل عنها ..

المرأة عند ليلى العثمان تقر بأنها لا تستطيع عمل شيء بدون الرجل ومساعدته لها. سواء أكان هذا العمل شراً، أو خيراً. سقوطاً أو ثورة. ومن جانب آخر نجد الرجل كابوساً يشتري لها. ويؤرق أحلامها، ويكبت حريتها، ويدفعها للسقوط. لا تستطيع الثورة بمفردها، ولا بد من مباركة الرجل لها. وليلى العثمان هنا أمينة للواقع الاجتماعي، فبرغم التطور الذي شهدناه إلا أن المرأة لازالت تحت سيطرة الرجل. وإن كانت تطمح للثورة لكنها تتوقف، تثور للحظة ثم سرعان ما تخمد هذه الثورة.

في (مواء) نجدها ذليلة، راضية بقدرها، لا تحرك ساكناً في وجه امرأة أخرى هي زوجة أخيها المتسلطة رغم أنها دخلت مرحلة العنوسة التي قد تكون السبب في هذا الخنوع. نجد سعادتها ومتعتها مع قطرة. ثم تقارن بين المرأة والقطعة، وتسرح في خيالها، وتستنتج أخيراً أن المرأة والقطعة تتشابهان في أشياء كثيرة غير أن المرأة ثائرة. ولكن لماذا هذه السلبية من جانب الفتاة وخاصة أنها دخلت مرحلة العنوسة؟ وإذا كانت الفتاة سلبية فكيف تريد مجتمعاً إيجابياً؟

تعود مرة أخرى للقطعة في قصة (الإشارة الحمراء) لتقارن بين رغبات المرأة الجسدية والتي فقدت زوجها منذ زمن نتيجة سفره، وبين القطعة. وهنا المرأة قطعة تبحث عن السعادة رغم أن هناك رجلاً آخر معها في السيارة. أليس ذلك تلميحاً لموافقتها لما يريد منها مع أنها تعلم أنه أخو زوجها. ألا يعني هذا أنها تريد؟

الفتاة عند ليلى العثمان مستكينّة، لا تريد غير واقعها، ونجد ذلك في عدة قصص — الفصل القادم — امرأة في إناء — الثوب الآخر — إلا أن هناك صورة أخرى، صورة تدين الفتاة العصرية، ففي (فضول) نجد البطلة لاهم لها سوى التدلل، والسير وراء أهواء ورغبات سخيفة، ويدفعها فضولها إلى الوقوع في العديد من المتاعب، لا شيء إلا البحث عن سر بسيط، سر جرح غائر من أعوام.

وفي (الجديلة الثانية) تصوير حقيقي للفتاة الفارغة، والضياع الذي تعاني منه. فتاة فارغة لاهدف لديها، ولاهم أو اهتمام. ونجد الادانة في معظم قصص المجموعة من حيث تدري الفتاة أو من حيث لا تدري. الادانة في كل قصة. اما إدانة لختوعها لقدرها، واما إدانة لأنها لا تملك شيئاً، ولا تهتم لمساكلها اليومية. فهل هذه الفتاة التي تصورها ليلي العثمان هي الفتاة الكويتية؟ أغلب الظن أن ليلي العثمان تصور الفتاة التي تشعر أنها موجودة في هذا المجتمع، وهي الفتاة السلبية. اما الفتاة الايجابية فلم تتضح في أية قصة.

عندما تكتب ليلي العثمان عن الرجل — ولم تكتب عنه مستقلاً إلا في قصة واحدة — فإنها تكتب عنه من جانب تسلطه وجبروته .. وأنايته .. يريد المرأة لجسدها فقط — ولكن هذه الرغبة هي جزء من المرأة نفسها التي تساهم بدفع هذا الرجل لسلوك هذه النظرة.

في قصة (الإشارة الحمراء) نجد الأخ يحاول نيل زوجة أخيه المتغيب في الخارج، لكنه لا يأتي ذلك بطريقة مباشرة، بل يعتمد على الرسائل — وهو هنا رجل غبي .. وإن حاولت الكاتبة إعطائه نوعاً من الذكاء، لا يحدثها مباشرة. لماذا؟ لأنه مرتبط بمجتمع .. أليس كذلك؟ إنه هنا بلا إحساس.

نظرة الرجل إلى المرأة كجسد تتكرر في عدة قصص. وإن كانت النظرة لا تأتي صريحة. نجد ذلك في (الثوب الآخر)، (إمرأة في إناء)، (فضول) وتتكرر الاشارات والتلميحات التي تدفع هذا الرجل إلى جسد المرأة ولكن لم توضح الكاتبة أن الجانب الآخر وهو المرأة يمتنع أو يتنصع. أو يقف ضد هذه النظرة. مما يوحي أن المرأة توافق على تلك النظرة من الرجل. ففي قصة (الإشارة الحمراء) لم تمتنع هذه الفتاة، ولو اتاحت لها الفرصة لاكتشاف سر الرسالة فربما وافقت على المغامرة. واعطت الرجل ما يريد. فهل هو قبول بواقع؟ أم أنه جزء من خنوع المرأة وشعورها بسيطرة الرجل.

الفتاة لامبالية، بل على العكس تشجع الرجل، وتحاول دفعه نحو الجسد باغراءات وتلميحات وعدم امتناع. لوجود لإمرأة تقف ضد الرجال.

في (إمرأة في إناء) هناك علاقة شاذة .. اختان احدهما زوجة الابن، والأخرى زوجة الأب. الثانية لا تبالي بهذه العلاقة الشاذة، فهل يعني ذلك شيئاً؟ .. لعلها نظرة المقت لهذا المجتمع المادي الذي انعدمت فيه القيم، واهتزت فيه الصور. ولكن لماذا تجاري الفتاة رغبات رجل مريض؟ هل هو اشفاق؟ أليكون الاشفاق من خلال علاقة لاطبيعية غير مقبولة اجتماعياً ودينياً..؟ ألم تجد رجلاً آخر. إنها في هذه الحالة تستمتع مع الرجل بكل لحظة. لم تشعر بتعاسها أبداً. بل جاء ارتياحها أكثر من أي شيء آخر. ترتاح له لالتهامة جسدها الطري. وتباهي بذلك دليل الاقتناع. وهنا تكون المباهاة أقوى ما تكون. إذن أين هو الشذوذ؟ الشذوذ هنا عند الفتاة التي لم يجبرها لهذا المسلك أحداً. إنها إدانة لها. فهل هناك من سبب مقنع لهذه القناعة لديها غير رغبتها للشاذة للمعيش مع رجل مريض ومن يرتبط بعلاقة دم مع زوج اختاء.

لم تدن ليلي العثمان الرجل بقدر إدانتها للمرأة التي تراها دائماً مستسلمة لا تحاول التغيير أو الثورة. ويكون همها الوحيد ارضاء غرائزها الجسدية بغض النظر عن النوعية. أليس هذا دليل الخنوع؟ إنها لا تستطيع الثورة على هذه المدينة .. وهنا تصوير لسلبية الفتاة.

ومرة أخرى في (الإشارة الحمراء) تحاول الكاتبة إدانة المدينة والتقدم. عندما تجعل لدى أخ الزوج رغبة بقضاء وقت في الفراش مع زوجة أخيه. إنها نذالة متناهية ولكن ماذا فعلت المرأة؟ بقيت لامبالية، خائفة، رغبة بهذه العلاقة أو مترددة بالقبول. ثم لا تعير الأمر أية أهمية. فلم تحاول كشف سر هذه الرسالة، ولا تهتم بالقضية مما يؤكد رغبتها بعلاقة شاذة.

فلماذا نجد فتاة ليلي العثمان بهذه الصورة؟

إنها صورة مهزوزة لكنها واقعية ..

هذه ادانة ليست للمدنية بقدر ما هي ادانة للفتاة العصرية .

في (حالة مستعجلة) نجد معاناة الفتاة من مشاكل المدينة — معاناة الفتاة وحيدة . ورغم كل ذلك فهي لم تحاول الثورة . وتفضل الاستسلام وفي خضم هذه المعاناة لم تنس النظرية الجسدية الجنسية . فأية فتاة هذه ؟

لم تتخلى كل فتيات وبطلات ليلي العثمان عن المتعة الجسدية مما يوحي بأن هذه المتعة الجسدية مطلب مهم حتى ولو كان بطريقة شاذة .

ترجع الكاتبة في خيالها إلى أيام الطفولة ، ونجد الطفلة أقوى شخصية من المرأة المستسلمة . فهي تدافع عن الخادمة . ولديها موقف محدد من هذه الدفاع . حدث ذلك في (طفولتي الأخرى) . ونجدها مرة أخرى فتاة مراهرة تثور على الثقيليد في (القلب ورائحة الخبز المحروق) . فلماذا صورت الكاتبة الطفلة والمراهرة أقوى من المرأة الشابة . لأنها لازالت صغيرة وتستطيع عمل كل شيء . ويسمح لها بالتعبير أم أن هناك أمراً آخر . ولماذا لا تستمر هذه الثورة معها لتشكل منها إنسانة جديدة تثور في شبابها ؟

<http://ArchiveWebbka.com>

في (آخر الرسائل) و(عريس في حي البنات) نجد تأثير الكاتبة بقصص الأفلام الهندية والعربية واضحاً . ففي (آخر الرسائل) تطلعن الكاتبة باستجابة الخالق جل وعلا للفتاة الصغيرة في كل شيء تطلبه . حتى رسالتها الأخيرة . فهل هناك سبب لهذه الاستجابة اللامنتظية ؟ والتي تحاول ربطها ببراءة الطفل . قصة لاواقعية مرتبطة بالقصص الهندية التي تجمع صدفاً ومفاجآت .. وتراجيديا وكوميديا .

وفي (عريس في حي البنات) نفاجأ في النهاية بابن التاجر المعروف يطلب يد نوره التي يرى فيها كل الحي أنها مجنونة مع أنها ليست كذلك . الاعتراض هنا يمكن للتفاوت الطبقي . والمفاجأة التي لا تحدث إلا في الأفلام الهندية وأفلام حسن الإمام . فأين السبب المقنع لهذا السلوك ؟

وتعتبر (آخر الرسائل) و(عريس في حي البنات) أسوأ القصص جميعاً من ناحية الأسلوب، ونعتقد انها يمثلان بداية محاولة الكاتبة ولوج عالم القصة.

في قصة (مسافر بلاحقائب) شاب يريد التحرر، ويحاول السفر بلا توقف. ولأول مرة لانجد معه فتاة. يريد الهرب من الواقع الذي يعيشه.. وهنا يتطور أسلوب الكاتبة كثيراً. ولكنه طرح سطحي لقضية مهمة.

في (بيت في الذاكرة) نجد أن أحلام طفل يبيع الجرائد تنصب على شراء دراجة. ولكن حالة الاسرة الاجتماعية لا تحقق هذا الحلم.. يمتزج حلمه بحلم والدته العودة إلى منزلها في صدد. فهل هناك ما يبرر هذا الامتزاج؟.. تقرر الأم آخر الأمر شراء الدراجة لتقرب حلم ولدها من الواقع، فهل يقتررب حلمها من الواقع؟ قصة تختلف كثيراً عن القصص الأخرى وحذا لو أنها لم تنشر هنا.

إمرأة في إناء المجموعة القصصية الأولى للكاتبة ليلي العثمان جاءت معظم قصصها سريعة الأحداث.. لاهثة الشخصيات.. حوارها بسيط لا تعقيد فيه. سهلة الفهم.. لكن تتابع الأحداث بهذه السرعة (باستثناء مسافر بلاحقيبة) قد يبرز عيباً في بناء هذه القصص قد تتخلص منه في مجموعتها الآخريتين.

وعلى أية حال.. ليلي الفتاة الكويتية جسدت آلام وآمال بنات جنسها. لأنها أقرب إليهن من الرجل.. لكنها أدانت هذه الفتاة وأبرزت عيوبها. ويكفي أنها تملك الجرأة والشجاعة وحب المغامرة.

ويطرح سؤال: هل ستتطور الفتاة في المجموعتين الآخريتين؟.. وهل ستتغير نظرة الكاتبة إلى بنات جنسها؟.. وهل نجد ثورة لهذه الفتاة؟..

هذا ما سيجيب عليه تحليلنا لمجموعة الرحيل وبعدها في الليل تأتي العيون. ولنا عودة قريبة.

والله الموفق

عبدالمحسن الشمري — الكويت

البتفسحة

قصة: محمد طمليه

بعض الناس سينقرضون . بالتأكيد سينقرضون
مثلا فعلها الديناصور من قبل .

طمليه

- ١ -

تصاعد الدخان من بيت في الخيم ، فهرع الناس إلى هناك . كان الباب
الخارجي مغلقا ، فجعلوا يطرقونه و يتصايحون ، إلى أن تجرأ أحدهم ، وقفز إلى
الداخل من فوق السور .
كان الدخان ينبعث من غرفة محمود . وكان محمود يجلس عند باب الغرفة ، وقد

وضع رأسه بين يديه . وحين حل المغامر سطلا من الماء ، واندفع إلى الغرفة ، رفع محمود رأسه دون اكتراث ، وأشعل سيجارة جعل يدخنها بهدوء . كان باد عليه أنه ثمل تماما . وبالفعل ، فقد كانت بالقرب من قدميه زجاجة فارغة ، يبدو أنها زجاجة خمر رخيصة .

كان المغامر قد فتح الباب الخارجي ، واندفع الناس كما يخمدوا النار . وتمكنوا أخيرا من اخادها حتى النهاية . الا أنهم أخفقوا في إنقاذ أي شيء . وفي حين ، انتشرت في الأرجاء رائحة الحريق ، لم يتمكن الرجال من التنبيه إلى رائحة الخمر التي كانت تنبعث من محمود . وقد أرجعوا حالته تلك ، وجلسه دون أن يحرك ساكناً ، إلى عجزه أمام النار ، وحزنه الشديد إزاء فقدانه لكل ما يملك .

قام الرجال بالاغتسال من السناج الذي علق بهم . وربت بعضهم على كتف محمود مطالبا إياه بألا يحزن « سليمة » . هكذا كانوا يرددون . بينما عرض عليه بعضهم أن يذهب للمبيت معهم . لكنه ظل ساكناً ، فخرجوا إلى شؤونهم .

أعاد محمود الزجاجة إلى فمه . لم يكن فيها ولا قطرة . فخصها ، إلا أن الزجاجة لم تتمخض عن شيء ، فرماها إلى داخل الغرفة ، حيث سقطت على الرمال ولم تنكسر .

شعر بدوار في رأسه . لم يقم . بل أمال رأسه إلى جانب ، وأستفرغ جزءا مما كان في بطنه . عاودته نكهة الخمر ، فانكشت ملامحه على نحو يوحى بالقرف ، فاستفرغ ثانية ، و بصق . ثم أرخى رأسه ونام حتى المساء .

استيقظ أثر نقر خفيف على الباب . كان يشعر بألم في كل عضو من أعضاء جسده ، خصوصا رأسه ، فقد شعر انه يقرقع . لم يكن الباب الخارجي مغلقا بالملزاج ، غير أن الطارق فيما يبدو ، لم يشأ أن يدخل هكذا . فقال محمود بصوت مبطوط : « ادخل » .

أز الباب ، وانبشقت من ورائه فتاة ، تبين بعد أن أمعن محمود النظر ، انها سامية .

بنت في الثامنة عشرة من عمرها وعمود يعرفها جيداً ، بيضاء ، وشعرها أسود طويل ، من عاداتها أن تتركه منعوفاً على كتفها . لكنها حين طلب إليها محمود أن تربطه على هيئة ذيل فرس ، أدارت وجهها وأحمرت خجلًا . ومنذ ذلك اليوم أخذت تربطه على هيئة ذيل فرس .

كانت سامية تحمل فراشاً ووسادة . ليس من عاداتها أن ترتبك في مقابلة محمود . لكنها لما رآته على حالته تلك ، تراجعت خطوة . نظرت إلى الغرفة ، فرأت جزءاً من المحروقات . تقدمت قليلاً ، ونظرت إلى الغرفة ثانية ، كما رأت زجاجة الخمر ، فوضعت ما تحمله على الأرض ، وخرجت دون أن تنفوه بكلمة .

تمطى محمود ، شعر بالأم في في عنقه ، فأمسك رأسه بكلتا يديه ، وحركه يميناً وشمالاً . ثم وقف على قدميه . وضع يده اليسرى على خاصرته ، وشد جسده إلى الوراء وثائب . كانت عند موضع قدميه بعض الأوراق التي لم تحترق جيداً ، ودون أن ينحني وقع نظره على العبارة التالية : « المسألة النقابية بين المفهوم السياسي والمفهوم الفكري » . داس الورقة بجذائه ، ثم حين تأكد من أنه معسها جيداً ، بصق عليها واتجه نحو المراض .

عادت سامية ، كان أخوها الصغير معها . وكانا يحملان جردلاً ومكنسة . أجالت سامية نظرها ، ومشت صوب الغرفة ، توقفت قليلاً بالقرب من زجاجة الخمر . ثم بدأت ، بمساعدة أخيها ، في تنظيف الغرفة .

خرج محمود من المراض ، ونظر إليها دون تعبير على وجهه ، حل الفراش والوسادة إلى زاوية في الفناء ، وهناك نام حتى الصباح .

بعد أن فرغت سامية من تنظيف الغرفة ، وطرحت الركام خارجاً ، كانت الشمس قد غابت منذ ساعة . لم تشأ أن توقف محمود لينام في الغرفة ، فالجودافيء . لكنها قبل أن تخرج ، أعادت وضع الوسادة تحت رأسه ، بحيث صار أقرب إلى كونه شخصاً نائماً . حملت جردلها وخرجت .

في الصباح الباكر ، صعدت سامية كعادتها ، إلى سطح بيتهم . ومن مكانها هناك أطلت على محمود ، إذ ليس بين البيتين سوى جدار . فغرفة محمود كانت جزءاً

من البيت الكبير، لكن أم سامية، قبل سنوات ثلاث، أي منذ أن مات زوجها، رأت أن تؤجر هذه الغرفة لقاء أي مبلغ. فأقامت جداراً من الطوب. وجاء محمود للإقامة هنا.

لم يكن بين محمود وبين الأسرة، أية علاقة من قبل. كل ما في الأمر، أنه بعد أن تعب من البحث عن غرفة للإيجار، ساقه الحظ إلى الحيم. وفور أن سأل الناس، أرسلوه إلى أم سامية.

ما أسهل أن يدخل الإنسان إلى قلوب الناس البسطاء، قبل كل شيء، إذا كان هونفسه طيباً. ومنذ اليوم الأول، نشأت بينه وبين الأسرة، بوادر علاقة حميمة. وتحققت هذه العلاقة، خلال إقامة محمود عندهم.

كان من عادة سامية، أن ترمي حجراً صغيراً على محمود، إذا كان نائماً في الفناء. لكنها اليوم عدلت عن ذلك. فقد بدا بالأمس متعباً أكثر من أي وقت مضى. وخلال ما كانت تنشر الغسيل على الحبل، تأكدت من أن الشمس ستقوم بإيقاظه بعد ساعة على أكثر تقدير. فالشمس آخذة بالتوسع، بينما الظل آخذ بالانحسار ومن عادته أن يستيقظ فور أن تلتسه الشمس. وهنا تذكرت سامية، أن من عادته أيضاً، أن يستيقظ صعب المزاج إذا لفحته الشمس. فقررت أن تمهله نصف ساعة فقط، قبل أن ينسحب الظل من فوقه تماماً. أكملت عملها على السطح ونزلت.

بعد نصف ساعة، صعدت إلى السطح، وأطلت على الفناء، فلم تر محموداً.

• • •

— ٢ —

كان محمود في مقهى، في أوسخ مقهى تحديداً. جلس في الشرفة المطلة على الشارع الرئيسي. ورغم أن الوقت ما زال مبكراً، إلا أن الرواد كانوا يتوافدون بسرعة. وتبعاً لذلك، فقد كثرت اللفظ والحديث. كان بود محمود أن يعرف المنحى الذي يأخذه الحديث بينهم. «ما الذي يقوله هؤلاء الناس في ساعات الصباح

الأولى ؟ » .. حاول أن يستمع ، لكنه بعد برهة ، أبعد نظره عنهم ، والتفت إلى الشارع .

كان الموظفون قد بدأوا بالتوافد الى شركاتهم . رأى أيضا بعض الفتيات اللواتي كن يترجلن من السيارات . كل هؤلاء يشون بوقار وثقة . لا تراهم يركضون أبداً ، وأقصى ما يقوم به أحدهم من جهد ، أن يتجنب حفرة في الطريق . حتى في الشتاء ، تراهم يحملون شمسيات . هم لا يحبون المطر . لا يحبون الصيف . لا قرار لهم . ولا يستطيع الإنسان العاقل ، أن يراهن على الأمر الذي يجلب لهم الحزن والفرح . انهم يحزنون بلا مبرر ، ويفرحون بلا مبرر . بعضهم يقرأ الكتب . وبعضهم حصل مؤخرًا على سيارة وجهاز تلفزيون ملون وغرفة نوم ايطالية . ان كل ذلك مقرر و يدعو إلى الغثيان .

كانت الضجة تزداد في المقهى تبعاً لازدياد الرواد . كانوا يتراكمون حول الطاولات بلا ترتيب . وبشكل لا يوحي بالتهذيب . معظمهم يدخنون الأرجيلة . وخطر لمحمود أن يدخن هو الآخر . صحيح انه لم يأكل منذ يومين ، لكن ذلك لا يعني أن لا يدخن . طلب أرجيلة . سحب نفساً منها ، فدار المقهى به ، لكنه واصل التدخين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان الرواد يضحكون ، فتيين أسنانهم الصفراء . انهم يضحكون باستمرار . ينذر أن تجد هنا من يكتب ، رغم انهم يستحذون على القسم الأكبر من الخوازيق المتاحة في المدينة .

إلى الجانب الآخر من الشرفة ، كان الناس قد ازداد عددهم على الأرصفة .. انهم يشون دفعة واحدة ، كالنمل ، وكلهم دون استثناء يصقون ، فكأنما أمطرت السماء بصاقا .

المحال التجارية فتحت أبوابها : في مقابل محمود تماماً ، على الرصيف الآخر ، ثمة كشك لبيع الكتب . ما أسخف ذلك . أحد الشبان يتفرج على أحد الكتب . آخر أخذ كتاباً ومضى . انهم يقرأون من أجل أن يكونوا أكثر ثقافة ، ما جدوى ذلك ؟ لا أحد يدري . كل ما هنالك انهم يزايدون على بعضهم البعض . حماقة !

سحب محمود نفساً عميقاً من أرجلته ، وتذكر ليلة البارحة : هو شخصياً أشعل النار في كتبه ، لم يأخذ عود الثقاب من أحد ، ولم يحتج إلى أي نوع من البترول . لماذا أحرقها ؟ لماذا لا يحرقها ؟ فآلى الجحيم أيها المثقفون الثوريون ، كلكم ، بما فيكم أنا ، فلست نادماً في حياتي على شيء ، بقدر ما أنا نادم على كوني مثقفاً ثورياً . مثقفاً ثورياً ؟ أي ثورة هذه التي تعني أن نجلس في النقابات والروابط المختلفة ، ونقرأ كتبنا تبحث في أيديولوجيا الشقاء ثم إذا انفض الاجتماع ، يركب كل منا سيارته ، وينام تلك الليلة في فراش دافئ ؟؟

نهض محمود وخرج .

تنقل في المدينة وكأنه يراها للمرة الأولى . كان فيما مضى تيساً ، يمر مرور الكرام . لم يسبق له أن تشاجر مع أي كان . لم يسبق له أن شرب عصيراً رديئاً من بائع على الرصيف . لم يسبق له أن تفرج على المحال التجارية ، أو راقب شخصاً ثملاً أحاطت به جماعة من الناس . قد يكون كل ذلك أبله وسخيفاً وجديراً بالراء ، لكنه الحياة بعينها .

عائد من بين سطور الكتب إلى الحياة ، أرضفة الحياة ، أزقتها ، شوارعها الوسخة والنظيفة . لا شيء كان يستدعي الدهشة ، في حين ، كان كل شيء يستدعي الكتابة والأرق . إلى جهنم يا كل شيء .

• • •

— ٣ —

مع المساء ، عاد محمود إلى غرفته . فور أن جلس على الأرض ، واستند إلى الجدار ، أزع الباب وجاءت سامية . لم تقل مرحباً ، بل تقدمت وجلست إلى جانبه . قالت له :

— أمي تدعوك إلى العشاء .

تذكر محمود أنه لم يأكل منذ يومين . وبغته ، شعر بالجوع ، فبدت له الدعوة منطقية .

أخرجت سامية من عيها صورة متسخة ، ومدتها نحوه :
— وجدتيا بين الركام .

نظر إلى الصورة بعياد . للمرة الأولى يقف أمام هذه الصورة بعياد ، دون أن يشعر بما يستوجب الفرح أو الحزن أو أي إحساس آخر . انها نسر ين ، كما هي ، وكما كانت دائما ، سوى فرق واحد ، وهو أن الصورة كانت متسخة بعض الشيء . ثمة فرق آخر ، وهو أن أحد المغامرين الذين أخذوا النار ، لابد ، داس على الصورة خلال ذهابه وإيابه أليس ذلك تجاوزا على كرامة نسر ين ؟ هب أنها دخلت الآن ، فما الذي ستقوله ؟

كان محمود يفكر في ذلك وكانت سامية تنتظر ردة فعله . ثم يهدوء ، أخرج علبة الثقاب من جيبه وأشعل عوداً . كان بصدد أن يحرق الصورة أيضاً . لكن سامية تدخلت بسرعة وأخذت الصورة من يده . لم يعترض . بل أطفأ عود الثقاب وطأ رأسه .

قالت له سامية : « هيا » فقاما .

عند الباب الخارجي ، نصحتة سامية بإغلاق الباب الخارجي بالمزلاج ، كيلا يعبث الأولاد بمحتويات الغرفة . وللمرة الأولى منذ أول النهار ، ضحك محمود ، إذ بدت له النصيحة سخيقة ، فليس في الغرفة ما يستوجب الحرص . لكن سامية اقنعتة . أو أنه اقتنع بمحض ارادته . فمن عادة أبواب البيوت أن تكون مغلقة على أية حال .

الباب الخارجي لا يغلق إلا من الداخل في مثل هذه الحالة . كانا قد اعتادا على أن تقوم سامية بالأمر ، وبعد ذلك ، تقفز من على السور . جرت العادة هكذا إذ ليس من المستحب أن يقوم مثقف ثوري بالقفز عن الأسوار كالأولاد . في هذه المرة حاول محمود أن يتجاوز القاعدة . لكن سامية سبقته وأبقته خارجاً . لم يعترض . ثم بعد برهة ، أطلت من على السور وهي تلهث . ضحك محمود . كان فيما مضى يتركها تقفز دون مساعدة . وكان يطيب لها ذلك . لكنه الآن مد يديه لمساعدتها . أجفلت سامية ، ليس لأن ذلك يتنافى مع الأصول ، ولكن لأن ذراعي

محمود ممدوتان ، محمود بالذات . بقيت فوق السور وهي لا تدري ما الذي يجب أن تفعله . الناس حولها . الناس حول أي اثنين . لكن سامية سقطت بين ذراعيه دون اكتراث . شعر بها محمود ترتجف ، كعصفوره ترتجف . وحين وطأت قدمها الأرض ، كانا في وضع أشبه بالعناق . محمود يطوق خصرها بذراعيه ، وهي تحيط عنقه ببديها ، أليس هكذا يكون العناق ؟ قالت له بأقل من همس : « خلنا هكذا » . هو لم يسمع ، أو أنها لم تفل . وانسحبت من بين ذراعيه كالعصفوره أيضاً .

حول مائدة العشاء لم تأكل سامية . كان العشاء عبارة عن مقلوبة . فقد جرت العادة أن تطبخ ام سامية المقلوبة كل يوم جمعة . اليوم هو الاثنين . لكنها طبخت اليوم من أجل محمود ، ومحمود يستاهل كل خير .

كانت الأم قد وضعت الطعام للأولاد في صينية منفصلة . ثم بعد أن أجهزوا على كمية اللحم أمامهم ، انتقلوا واحداً تلو الآخر إلى الصينية الأساسية ، والتي يتعين على الواحد منهم أن يكون مهذباً خلال أكله منها ، كما أوصتهم الأم . ورغم أن محمود كان قد اعتاد عليهم ، وأعتادوا عليه ، ألا أنهم أدوا بعض الأدب ، فهو ضيف على أي حال .

كانت سامية لا تأكل . كانت تفكر : هذا العناق الطائر خربطها . المسألة ليست عناقاً فحسب ، إنما محمود بالذات ، هذا الذي يجلس على الطرف الآخر من الصينية هل حقاً أنزلها عن السور ؟ هل حقاً كانت بين ذراعيه منذ قليل ؟

قامت سامية إلى المطبخ . كان هناك « بابور كاز » مشتعل ، وأبريق الشاي فوقه . لم يكن الماء قد فار بعد ، إلا أنها رفعت الغطاء ووجت . في الشتاء الماضي تحديداً كانا يجلسان حول « بابور الكاز » . وكان محمود يطفئ سجاثره على جسد البابور . كان يقول لها شيئاً ، فتطلب إليه أن يعيده ثانية ، فقد حالت ضجة البابور دون أن تسمع . وكانت هي تصرخ إذا أرادت أن ترد عليه .

لكم هي جميلة تلك الأيام . كانت تخرج إلى المدرسة في وقت مبكر . وفي الأيام الماطرة كانت تعجز عن تجاوز السيل ، فتذهب إلى محمود ، تجده نائماً ، لكن ما أسهل أن توقظه ، وكان يقول لها :

— ما دوري أنا إذا كان السيل كبيراً ؟

فلا ترد . ويخرج معها إلى السيل . وهي تذكر أنه حملها وخاض بالماء . ورغم أنها كانا في وضع أشبه بالعناق ، إلا أنها لم تشعر بما تشعر به الآن .

غالباً ما كانا يتعانقان . هي تذكر أنه حملها إلى الطبيب بنفسه عندما اغمى عليها . وعندما هطل الثلج ولم تقدر أن تمشي حملها أيضاً . لكنها لم تشعر أبداً بما ينتابها الآن .

كان الماء قد فارغ في الأبريق . فأضافت سامية السكر والشاي ، إلى أن صار الشاي جاهزاً . أخذته إلى الغرفة . تجنبت النظر إلى محمود . وضعت الشاي وهمت بالعودة . غير أن أمها طلبت إليها كنس بقايا الطعام عن الأرض . فقامت بذلك دون أن تنظر إلى محمود . فشرب محمود الشاي وخرج .

ظلت سامية في المطبخ . أخرجت من عيها صورة نسر ين ونظرت إليها ملياً . كانت نسر ين في الصورة تبسم . شعرها مصفف بعناية . وبما أن الصورة ملونة ، فقد ظهر اللون الفاقع لأحمر الشفاه الذي تضعه دائماً .

إنها جميلة ، وطيبة أيضاً . وبعدها أخذت تروى محمود في غرفته ، نشأت بين الاثنين علاقة حميمة ، ومراراً ، أخضرت نسر ين الثياب التي لم تعد بحاجة إليها وأعطتها لسامية . القميص الأبيض الذي أحبته سامية كثيراً ، هوفي الأصل لنسر ين . ومراراً أخذتها معها إلى أماكن مختلفة . لم تشعر سامية بالانسجام في تلك الأماكن . لكنها تظاهرت بالحماس ، فقد شعرت أن وجودها بين هؤلاء الناس : صحيح أنها لم تفهم شيئاً مما يقولونه ، إلا أنها شعرت بأنه يتحتم عليها أن تبدي حماسها ، وإلا ظنوا أنها متخلفة . وكانت تهز رأسها دلالة الاستيعاب ، لكنها في الواقع لم تفهم سوى المجاملات التي يتبادلونها فيما بينهم . ثمة شيء أخجل سامية حتى العظم ، وهو حذائها . فلم يكن ذلك الحذاء مؤهلاً للتواجد في تلك الأماكن ، فالرجال انيقون ، والنساء كذلك ، لذا أخفت سامية قدميها تحت الكرسي .

فهل بعد كل ذلك تقدر سامية أن تكره نسر ين ؟ ولماذا تكرهها ، لأنها تحب

محموداً؟ إن ذلك حري بأن يجعلها تحب نسر ين أكثر، فمحمود يستاهل كل خير. ولكنها تشعر أنها — محمود ونسر ين — لا يناسبان بعضهما البعض، لا تدري لماذا، مجرد احساس. وكانت تود أن تقول لها ذلك، لكنها تخشى أن يفهماها غلطاً، أن يقولوا انها فتانة، وهي ليست كذلك في الواقع. بالفعل، انها لا يناسبان، كلاهما طيب وابن حلال لكنها لا يناسبان. لقد رأتهما يتعانقان، كانت تقف على السطح، وتراهما عبر الباب الموارب، يتعانقان. لكنها مع ذلك تجزم بأنها لا يناسبان.

خطر لسامية أن تقوم فوراً، وتخبر محموداً بكل ما لديها. مؤكدة أنه لم يَمْ بعد، فمن عادته أن يسهر حتى الصباح، ستجده ولا شك يقرأ في كتاب، لن ينزعج، ستقول له: «أنت ونسر ين لا تناسبان، أنت بحاجة الى ...»

«صحيح، ما الذي يناسب محمود؟ ...»

علي أية حال، هو بحاجة إلى أية بنت سوى نسر ين، سمراء أم شقراء، طويلة أم قصيرة، رفيعة أم سمينية، كل ذلك لا نسر ين. المهم أن تكون ...
لم تستطع مواصلة التفكير.

ARCHIVE

<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

— ٤ —

نام محمود تلك الليلة بكل ما لديه من نعس. وحيناً استيقظ في الصباح الباكر، كان الخدر يعسكر في جنباته. قام متثاقلاً. لم يشأ أن يصنع شايًا، ليس لموقف سلبي من الشاي، ولكن لعدم وجود الأواني اللازمة. وبينما كان يهتم بالخروج، وأطلت عليه سامية من على السطح. نظر إليها، كان شعرها منثوراً على كنفها، وكان هواء خفيف يطيره، فتبدو سامية كفراشة، أو أنها فراشة بالفعل.

— صباح الخير.

لم يرد التحية، ولكنه ابتسم.

— خذ.

التقط محمود البنفسجة قبل أن تقع على الأرض، وقرها من أنفه، دون أن

يقول شكراً مضى .

تلکاً قليلاً في الطريق . كانت البنفسجة في يده . وكان يفكر في نسرین :
ها قد مضى اسبوع على افتراقهما ، دون خبر منها على الاطلاق . وعمود يشعر ازاء
ذلك بارتياح شديد . كانا لا يتفقا حتى على أن رائحة الثوم كرهة . فما الذي
يجعلها يستمران في العلاقة ؟

في يوم ، طلبت اليه الذهاب معها إلى مكان ما . وهناك رأى عدداً لا يحصى
من النساء . وكان يبدو أن ثمة احتفال سيجري . أبقت نسرین في غرفة صغيرة
وأخذت تقوم بدورها في الاعداد للاحتفال . ثم حين بدأت الكلمات الافتتاحية ،
في نفس الوقت ، بدأت الأحاديث الجانبية .

عندما خرجا — عمود ونسرین — إلى الشارع ، كانت النساء المحفلات ، كل
منهن تصعد إلى سيارتها الخاصة . على الرغم من أن الكلمات التي القيت في
الاحتفال ، أكدت على ضرورة التمسك بالنهج الثوري من أجل تخليص المرأة في
العالم الثالث من القيود المفروضة عليها . قال عمود :

— كل شيء سخيّف .
سألته بدهشة : <http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— لماذا ؟

أجابها :

— ألا يمكن أن تحتفلن بغير هذه الصورة ؟

فأجابته :

— ذلك أمر شخصي لا علاقة للتوجه الفكري فيه ..

ثم أضافت :

— هل نطلب ممن يملكن سيارات ، بأن يقين سياراتهن في بيوتهن ؟

طأطأ عمود رأسه وكاد أن ينفجر .

في الشتاء أيضاً ، كان الثلج يهطل ، فأحب عمود أن يداعب نسرین ، فصنع
كرة صغيرة من الثلج ، وضربها نحوها . لكن نسرین انفعلت . قالت ان ذلك

لا يجوز. وطلبت اليه أن لا يكرر هذه الأعمال الصبيانية. فواصل المسير بوقار.

في حارته، كان الناس قد انقسموا إلى جماعتين. ومن فوق أسطح البيوت، أخذوا يتراشقون بكرات الثلج. كانت سامية تنتعل جزمة أخها. وكانت ترتدي «جرزة» صوفية حمراء ذات عنق طويل. وكان شعرها منشورا يعبث به الهواء البارد. وكلما انحنت لتناول المزيد من الثلج، انفرش شعرها الأسود على الثلج الأبيض. كل ذلك أوحى لمحمود بالطيران. ليكن.. إن أول من فكر في الوقار والالتزان، إنما هو ابريق مثقوب. واندفع بكل قوته نحو جماعة سامية. لكنها حينما رآته، حاصرتة في الزقاق، وأهالت عليه كمية من الثلج تكفي لتجميده. وقد ساعدها الناس أيضاً. فانظمر محمود بالثلج البارد. لكنه لم يفعل. بل أخذ يجري إلى أن ابتعد عن مرمى كراتهم. فجاءه صوت سامية عالياً:

— اطلع عليك الله وأمان الله.

الجو هادئ، ليس ثمة ضجة من أي نوع، سوى صوت سامية وكركراتها هنا وهناك. أحس محمود بنشوة غريبة. أحس أنه يصدد أن يطير، وأنه لم يبق بينه وبين الطيران إلا سامية واحدة، كهذه التي تناديه الآن:

— اظهر وبان عليك الأمان

<http://Archivebeta.Sakhr>

قرر أن يخرج من مكانه. وبينما هويهم بذلك، فكر: «ما الذي تفعله نسرين الآن؟». كانت السماء تندف بغزارة، فلجأ الناس إلى بيوتهم، سوى اثنين: محمود وسامية، كانا يتراشقان، ثم حين أمسكها وقيد حركتها، انفلتت منه ثانية وجعلت تصرخ وتندرج على الثلج، ثم تحمل قبضة منه وتلحق بمحمود. ظلت هكذا إلى أن شعرت بأن قدميها قد تجمدتا. فطلبت إلى محمود أن يحملها، فحملها على كتفه. وحتى وهي كذلك، كانت تحاول التلصص منه، وتصرخ بأعلى صوتها.

في غرفته، أشعل «بابور الكاز» وأجلسها قربها. كانت تتألم من أصابع قدميها، لكنها كانت تضحك أيضاً، وتهدهد بأنها ستظمره بالثلج حتى عنقه.

في اليوم التالي، علم محمود أن جماعة من البنات بقيادة نسرين، قد خرجن

في عمل تطوعي لازاحة الثلج من الطرق ، ولمساعدة المواطنين . فأعجبه الأمر كثيرا . وشعر أن نسر ين — مهما يكن — جديرة بالفخر . لكنه حين علم أن عملهن تركّز في الحي الارستقراطي من المدينة ، ضرب الثلج بقدمه ، وشمّ نسر ين مليون مرة .

قابلهما في اليوم الرابع ، قالت له :

— كنت أظن أنك ستفرح !

لم يجب ، فقالت :

— أعرف أنك ستقول لماذا تلك المنطقة بالذات ، أليس كذلك ؟ لو أننا ذهبنا إلى منطقة أخرى لرشقنا الأولاد بالحجارة .

قال محمود :

— صحيح ؟!!

تركها في الشارع ومضى .



جلس محمود في المقهى الواسع . وكان المقهى مكتظا بالزوّاد . والدخان الذي يعبق بالأجواء ، يجعل الرؤيا صعبة . في مثل هذه الحالة ، قد لا يكون بالأمر الطيب ، أن يستمتع أحدهم بالبنفسج لكن محمود ، كانت في يده اليمنى أرجيلة ، وفي يده اليسرى بنفسجة سامية . كان يشمها وهز رأسه . ليس هبلا بهز رأسه . ولكنه تذكر شيئا خارقا :

الرائحة طيبة ، رائحة البنفسج . كان محمود يسخر من سامية ، كلما رآها تسقي حوض البنفسج من ماء السيل ، فيقول ها : « ستكون رائحته كريهة » . الا أن سامية كانت تواصل احضار الماء الآسن من السيل ، وتهدهد بأن ترشقه به . فيهرب واضعا يده على أنفه .

لكم هي رائحة هذه المخلوقة ، فرغم كل شيء ، لديها متسع من الوقت بحيث تعتني بالزهور . أما نسر ين وصاحباتها ، فهن لا يقدرن إلا أن يجلسن جنباً إلى

جنب، كما هي مراحل المدارس تماماً، و يثرثرن حول ضرورات المرحلة. وحتى النتائج التي يتوصلن إليها، تكون في الأغلب من نوع: « ينبغي مواصلة المسيرة، من أجل التوصل إلى استراتيجية واضحة، مما يمهد الظروف الموضوعي، لكي ينمو و يتزعرع بالتالي، الظروف الذاتي ». و محمود يقسم بكل ما في العالم من بنفسيج، إذا كانت احداهن تفهم حقيقة ما تقول .

ذات مرة، قالت له سامية، بعد جولة لها مع نسرين :

— لن أذهب إلى هناك ثانية.

سألها :

— لماذا ؟

أجابت :

— لا أدري، ولكنني لن أذهب.

معها الحق في أن لا تذهب، فن هو مثلها لا ينبغي أن يكون وسخاً، أو أنه لا يقدر أن يكون كذلك .

خرج محمود إلى الشارع. كان مسطولاً بعد الأرجيلة، وكان منتشياً اثر البنفسجة. عند منعطف، كان ثمة كشك لبيع الكتب. فأراد محمود أن يلقي نظرة. هكذا، مجرد الاطلاع لا غير. قابل هناك بعض معارفه القدامى، ممن يقرأون دائماً، ومن تعجبهم المصطلحات الفخمة. أحدهم اسمه حسن، وهو عبارة عن كتلة هلامية من اللحم البشري الرخو، تشكل في مجملها ما يمكن تسميته بحسن. قابله محمود ببرود. لكن حسن لم يتوان عن ابراز فحولته الفكرية، إذ تناول كتاباً وأشار إلى محمود :

— هذا كتاب جيد، يحتاجه كل مثقف، تحديداً في هذه المرحلة. انه عمل يستحق الاجلال، خذه، أنصحك بنسخة قبل فوات الأوان .

ودون أن ينظر محمود إلى الكتاب، سأل حسن :

— هل قلت انه جيد ؟

— بل رائع، و يعالج القضايا التي تهم المواطن العادي .

ابتسم محمود قائلاً :

— هو لا يهمني إذن ، فأنا مواطن (سوبر) .

ومضى . دلف إلى حانة يرتادها المثقفون عادة . كانت هناك جبهة من معارفه القدامى . كلهم يشربون البيرة . وبصوت مرتفع ، كانوا يتجادلون في أمور مختلفة . أحدهم يؤكد أنه لا بد من التحالف في هذه المرحلة ، مع بعض شرائح البرجوازية الوطنية . رد عليه آخر ، بأن ذلك لا يجوز على الإطلاق . عموماً ، كان صوتهم مسموعاً ، حتى رغم الضجة المنبعثة من ماكنة طحن البن .

لما رأوا عموداً نهضوا جميعاً واستقبلوه . أجلسوه بينهم ، وواصلوا النقاش :

— دعوني أكمل . ان الميول الدكتاتورية التسلطية تشتد لدى البرجوازية ، حتى وإن كانت ذات تقاليد وتراث ديمقراطي برلماني .

استند أحدهم إلى مقعده ، وشرب جرعة كبيرة من كوب البيرة ، ثم قال برصانة :

— اسمعوني يا اخوان . انه عدا عن المشكلات الداخلية من قبل التحالفات القائمة أو الاصطفاف السياسي الجديد أو قيد الضرورة ، لا بد في النهاية من بلورة خط عام تجتمع عليه كل ...

وهنا ، دون أن يعتذر أو يستأذن ، قام محمود وخرج إلى الشارع . توجه حالاً إلى الخيم . حين بلغ أول الحارة تذكر سامية . هويكذب ، فسامية في ذهنه منذ الصبح . ليس في الذهن تماماً ، بل تحت اللحم وتحت العظم وتحت الروح . تحت كل ذلك ثمة سامية موجودة . انه يحس برائحة البنفسج تعبق في داخله . يحس بأن جناحا من الدفء يخفق في صدره . حالتذاك يصير لاقيمة لكل ما يقوله هؤلاء ، ممن يفلسفون الحياة ولا يعيشون . ويؤلفون نظريات في الحب و يكرهون . وحينما يخرج العمال إلى ورشاتهم في الصباح ، يتفرغون للحديث عما يريده العمال . ليس في حياة أي منهم ولا سامية واحدة . فهم اذن لا يقدرّون إلا أن يظنوا هكذا . لم يكن الباب مغلقاً ، فدفعه محمود بقدمه . تعمّد اثارة ضجة كما تسمعه سامية . ستجيء حتماً . ورثاً يكون ذلك ، شمر عن ساعديه ، ورفع بنطاله من

الأسفل . وأخذ ينقل الماء من برميل في الفناء و يدلقه في الغرفة . كان يروح ويحيى بحماس . إلى أن امتلأت الغرفة بالماء ، حل المكنته وهم بالعمل .

أطلت برأسها من الباب الخارجي . رآها . خفق قلبه . حالما تقترب سيحملها بين يديه . تقدمت سامية ، كانت مبتهجة ، هي دائماً كذلك . أسند المكنته إلى الجدار . قدماه مغمورتان بالماء . حالما تقترب .. واقتربت سامية . ما عليه الآن إلا أن يمد يديه . قلبه يخفق . لاحظت سامية ذلك ، فاحمر وجهها . من الطبيعي أن يحمر وجهها . سألته بتلعم :

— ماذا تفعل ؟ على الرغم من أنها تعرف ماذا يفعل . وقالت :

— أين كنت ؟ لم يجب . تضاعف ارتباكها . فجلست على الأرض في الماء . ظل واقفا لبرهة ، ثم جلس إلى جانبها . لم يقلوا شيئاً . قامت . جعل الماء يقطر منها . ضحك محمود . شدته من يده فوقف . الماء يقطر منه أيضاً . انفجرا بالضحك ، وراحا في عناق .



اليهود المصريون

صحفهم ومجلاتهم



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

« اليهود المصريون .. صحفهم ومجلاتهم » هو واحد من الكتب التي تناولت حياة الطائفة اليهودية في مصر، وذلك من خلال دراسة جانب إعلامي هام يعكس العديد من جوانب حياة تلك الطائفة ألا وهو الصحافة، وذلك منذ أول جر يدة انشأها يهودي في مصر وهي جر يدة ابوظفارة ليعقوب صنوع عام ١٨٧٧ حتى نهاية آخر جر يدة يهودية عام ١٩٥٥ .

وترجع أهمية الدراسة إلى الدور الذي لعبته الصحافة اليهودية في الحركة الصهيونية في مصر، حيث اتخذت الصهيونية — التي بدأت أفكارها منذ نهاية القرن الماضي — من الصحافة وسيلة لخدمة أهدافها وترويج أفكارها بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر، ومحاولة تضليل الرأي العام في مصر والوطن العربي عن

حقيقة أهدافها الاستعمارية، وفي نفس الوقت محاولة عزل القوى الوطنية المصرية من الصراع مع شكل الاستعمار الاستيطاني العنصري الجديد، ومن ثم كان عليها أن تلجأ إلى أساليب شديدة الالتواء وبدهاء شديد ليث أفكارها، كما تكشف الدراسة في نفس الوقت الأشكال التي تفتقت بها على مدى مراحل مختلفة .

وعنوان الكتاب هو نفس عنوان الرسالة التي تقدمت بها المؤلفة إلى كلية الاعلام بجامعة القاهرة للحصول على درجة الماجستير في الصحافة، ونالتها بتقدير امتياز، والكتاب بالاضافة إلى تعريفه بالصحافة اليهودية — الصهيونية وغير الصهيونية — هو في جوهره دراسة لأساليب الاعلام الصهيوني، وقد قامت المؤلفة بدراسة مضمون بعض الموضوعات التي شغلت الصحف في تلك الفترة وافردت لكل منها فصلا خاصا في الكتاب وهي :

- ايقاظ الوعي القومي اليهودي .
- بين الأدب والتاريخ .
- محاولات التوفيق بين العرب واليهود .
- الموقف من القضية الفلسطينية .
- تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وبلاد الشام .
- موقف الصحافة اليهودية من القضية الوطنية المصرية .

هذا بالاضافة إلى ثلاثة فصول أخرى، منها فصلان تمهيديان عن أوضاع اليهود في مصر، وفصل عن نشأة الصحافة المصرية وتطورها .

لقد بدأت الأفكار الصهيونية في التسلل إلى مصر مع موجات الهجرة التي شهدتها نهايات القرن الماضي، وذلك نتيجة لسوء أوضاع اليهود في تلك البلاد وهي البلدان الأوروبية والبلدان العربية الواقعة تحت سيطرة الخلافة العثمانية، بالمقابلة مع ما وجدوه من تسامح عند الشعب المصري، واجتذبت الدعوة الصهيونية أعدادا كبيرة منهم، وتم انشاء أول جمعية صهيونية في مصر عام ١٨٨٦ التي انشأها مارك باروخ الذي وفد على مصر في نفس العام وهو ايضا نفس العام الذي صدر فيه كتاب الدولة اليهودية لهرتزل بتنسيق مع الحركة الصهيونية العالمية .

لقد لعبت الصحافة دوراً كبيراً في ترويج الفكر الصهيوني وفي محاولة تهيئة الرأي العام في مصر والوطن العربي على تقبل فكرة اقامة الكيان الصهيوني في فلسطين كحقيقة واقعة وبشكل تدريجي ، واختلاق الاكاذيب حول حتميته المزعومة ، وبالرجوع إلى الصحف اليهودية في تلك الفترة نجد الكثير من بذور تلك الافكار التي مازالت تتردد حتى اليوم وبنفس الكيفية ، فليس من المصادفة مثلاً أن يردد الارهابي بيجين عندما حضر إلى القاهرة بأن العبقريّة اليهودية والأيدي العاملة المصرية ستعمل على النهوض بالمنطقة ، فقد سبق أن رددت الصحف اليهودية مع تشجيع موجات الهجرة الى فلسطين بأن العبقريّة اليهودية والايدي العاملة الفلسطينية ستعمل على تحويل فلسطين إلى بقعة من العالم المتمدن ، وعندما أعلن ان اجداده هم الذين بنوا الاهرام ، فهي نفس الأفكار التي روجتها الصحف الصهيونية عندما حاولت أن تنسب انجازات الحضارة العربية وحضارات الشرق الأوسط إلى اليهود ، وسرقة التاريخ كسرقة الأرض .

لقد شهدت الطائفة اليهودية في مصر ازدهاراً كبيراً نتيجة للحقوق التي كفلت لهم ممارسة شعائهم الدينية والأنشطة الاقتصادية ، واستطاعوا نتيجة لذلك السيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد ، بل السيطرة على بعض قطاعات بكاملها ، وإذا يتبين من الدراسة أن اليهود لم يلعبوا دوراً مباشراً في السياسة يتوازن مع سيطرتهم الاقتصادية إلا أنهم عملوا كل جهودهم على كسب ود كل القوى السياسية الموجودة في مصر بدءاً من الوفد — حزب الأغلبية المناهض للاستعمار — حتى السراي والانجليز ، والتعامل مع كل منها على حدة ، كما حاولوا ركوب موجة الحركة الوطنية المصرية ، بل ورفع أكثر شعاراتها ثورية في مراحل مدها ، وذلك من أجل توجيهه كل تلك القوى لخدمة أهدافها ، وعادة ما كان هذا التعامل يتم عن طريق التقرب إلى قيادات تلك القوى من قبل بعض الشخصيات الصهيونية البارزة ، والتي كانت غالباً ما تأخذ شكل صداقات شخصية .

ان محاولة استقطاب القيادات لم يقتصر على القوى السياسية فقط ، وإنما امتد أيضاً إلى القيادات الفكرية ، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك في ميدان الصحافة هو

قيام أسرة هراري، وهي من كبرى العائلات اليهودية المعروفة بنشاطها الصهيوني بإنشاء مجلة الكاتب المصري واسناد رئاسة تحريرها إلى الدكتور طه حسين بدعوى إحياء التراث العربي، حيث شغلت قضية التراث في ذلك الوقت العديد من المفكرين والكتاب، وضمنت المجلة حشداً من كبار المفكرين والكتاب منهم: سلامة موسى، د. لويس عوض، د. سهير القلماوي، يحيى حقي، توفيق الحكيم، د. شوقي ضيف، محمود تيمور، د. سليمان حزين، فؤاد صروف، ريمون فرنسيس، محمد رفعت، نجيب الهلالي، د. حسين فوزي، محمد عرفة، عزيز فهمي، يحيى الخشاب، وأبناء د. طه حسين مؤنس وأمنية، كما استكثبت عدداً من أبرز الكتاب في فرنسا منهم: سارتر، رينيه بار، هنري بيرليه، روجيه ارناuld.

لقد كان الهدف هو عزل هؤلاء الكتاب عن قضية الصراع العربي الاسرائيلي كقوى مؤثرة لها وزنها في الرأي العام في مصر والوطن العربي حتى أن بعض الصحف في البلاد العربية قد قررت مقاطعة هؤلاء الكتاب وعدم التعامل معهم.

لقد صدرت في مصر ٤١ صحيفة يهودية غالبيتها صحف صهيونية، وقد قامت المؤلفة بتقسيم تاريخ الصحافة اليهودية إلى ثلاث مراحل وهي:

— المرحلة الأولى: وهي التي بدأت منذ عام ١٨٧٧ وهي الفترة التي شهدت مولد الصحافة اليهودية بمرحلة أبوناظرة ليعقوب صنوع ثم تناولت بالدراسة أربع صحف أخرى من التي صدرت في تلك المرحلة وهي الكوكب المصري، الميمون، الحقيقة، نهضة اسرائيل، واهتمت الصحف في تلك الفترة بشؤون أبناء الطائفة اليهودية ومشكلاتهم والتعرض لبعض الأوضاع الاجتماعية.

— المرحلة الثانية: وقد اطلقت المؤلفة على هذه المرحلة ما قبل وعد بلفور وهي المرحلة التي شهدت بدايات تسلل الأفكار الصهيونية وإصدار الصحف الصهيونية، وقد ساعد على ذلك عاملان هما: حرية الصحافة في مصر ووقوع مصر خارج سيطرة الخلافة العثمانية، وتناولت بالدراسة في تلك المرحلة خمس صحف هي: العائلة — التهذيب — الرسول الصهيوني — صحيفة مصر — صحيفة الارشاد. وهي

صحف صهيونية طرح معظمها تمهيدا عن فكر إقامة ما سمي بالوطن القومي وأهميته بالنسبة لليهود .

— المرحلة الثالثة : وهي مرحلة ما بعد وعد بلفور وهي تعتبر أهمها جميعا ، اذ صدرت فيها اعداد كبيرة من الصحف والمجلات الصهيونية واتبعت فيها سياسة الإغراق الإعلامي بشكل مكثف حول بعض القضايا التي واجهت الحركة الصهيونية في تلك المرحلة ، وهي تعكس في نفس الوقت تصاعد النشاط الصهيوني الذي تزايد مع زيادة موجات الهجرة مع نشوب الحربين العالميتين ، كما تعكس التيارات المختلفة داخل الحركة الصهيونية — التي رغم خلافاتها — قد نشطت جميعها في طرح وجهات النظر الأساسية حول القضايا التي أثرت حول قيام اسرائيل . ومن أبرز صحف تلك المرحلة صحيفة « اسرائيل » التي أسسها البرت موحيري وهو يهودي أسباني الأصل بدأ نشاطه الصهيوني في باريس ومنها إلى مصر وكانت باللغة الفرنسية أسست تحريرا بعد وفاته زوجته ماتيلدا موحيري ، وكذلك صحيفة الشمس التي صدرت بعد اغلاق اسرائيل وكانت باللغة العربية . رأس تحريرا سعد يعقوب مالكي وكانت موجهة إلى كل يهود الشرق وأصدرت ملحقات بعنوان « إلى الأمام » وهو عنوان النشرة التي كان يصدرها موحيري في باريس ، كذلك صدرت صحيفة « الصوت اليهودي » التي اصدرها التصحيحيون ورأس تحريرا البرت ستراسلكي مسؤول المنظمة بمصر وصحيفة التسعيرة التي اصدرها البرت مزراحى وقد حاولت في البداية الدفاع عن اليهود المصريين ضد الفكر الصهيوني لكنها تحولت عن خطها تحت الضغوط التي واجهتها من قبل العناصر الصهيونية وكذلك مجلة الكاتب المصري التي لاقت راجا كبيرا نتيجة اهتمامها بالأدب العربي ووجود نخبة من المفكرين بها ، هذا بالإضافة إلى صحيفتي الاتحاد الاسرائيلي وشباب القرائين اللتين اصدرتهما طائفة اليهود القرائين والتليفون والمصباح والصرحة .

ولعل مما ساعد على انتشار الصحف الصهيونية بهذا القدر هو توافر الامكانيات المادية بالإضافة إلى سيطرة اليهود على قطاعات واسعة من الاقتصاد المصري مكنتهم

من تدعيم هذه الصحف عن طريق الاعلانات التي أفردت لها بنود ثابتة مما يمكن بعضها أن تستمر فترات طويلة ، بل انهم استخدموا سلاح الاعلانات ضد بعض الصحف التي لم تمثل لافكارهم ومهاجبتها بعنف .

ان موقف الصحف الصهيونية من بعض القضايا التي حاولت المؤلفة متابعتها من خلال تلك الصحف التي اصدروها يكشف إلى أي مدى بعيد وصلت أساليب الاعلام الصهيوني والتي ما زالت متبعة حتى اليوم بدءا من تزييف الحقائق ولها وركوب موجات القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية بما يحقق اهدافهم ، ففي الوقت مثلا الذي دأبت فيه الصحف الصهيونية على ايقاظ الوعي « القومي » اليهودي وربط فكرة القومية بالدين ، ومقاومة اندماج اليهود في المجتمع المصري ، نجد الصحف الصهيونية تدعو إلى الاهتمام بتعليم اللغة العربية ودفع اليهود إلى معايشة المجتمع وعدم العزلة فيه مما يبدو متناقضا مع حقيقة ما تهدف إليه ، ولكن مع التأمل يتضح أن الدعوة إلى تعلم اللغة العربية وكسر عزلة اليهود تهدف في الحقيقة إلى خدمة الهدف الأساسي المطروح ، فنتيجة للهجرة كانت مصر تضم جنسيات مختلفة من اليهود يتحدثون لغات شتى ، والدعوة إلى تعلم اللغة العربية هي محاولة لخلق لغة تفاهم مشتركة بينهم ومن ناحية كان الجهاز الحكومي يشترط اللغة العربية لشغل الوظائف مما دعاهم إلى تعلم اللغة العربية حتى لا تنفجر أزمة بطالة بين اليهود ، وكذلك كان الهدف فهم لغة الشعب العربي ومعايشة المجتمع حتى يتسنى لهم تحقيق أهدافهم وتنفيذ قيام دولتهم ، بل إننا نجد أن مقاومة فكرة الاندماج قد جعلهم يشهرون حملات ضد المسيحية نتيجة اعتناق بعض من اليهود للمسيحية ، فشنا حملاتهم أيضا ضد المدارس التبشيرية وأوردوا في صحفهم أن اليهود والمسلمين أبناء عمومة وأن المسيحيين دخلاء عليهم ، هذا في حين لم تتردد نفس هذه الصحف في شن حملة ضد الوطنيين المصريين الذين كشفوا الوجه القبيح للصهيونية فوجهوا مقالات للمسيحيين للوقوف إلى جانبهم ضد موجة معاداة السامية بحجة انها ستوجه فيما بعد ضد المسيحية بل انها طالبت باستصدار تشريع لما يسمى بحماية الوحدة الوطنية ضد هؤلاء الذين يقفون ضدها .

كذلك دعت إلى الأدب المكتوب باللغة العربية ليس كاهتمام بالأدب في حد ذاته ولكن في إطار رؤيتها للأدب كعلاج لما سمته بالآزمة الروحية التي يمر بها اليهود ، ولكسب تعاطف العرب من خلال لغة الأدب التي تخاطب المشاعر إزاء قضاياها والقضاء على فكرة نبذ اليهود .

أما بالنسبة لما أوردته المؤلفة حول محاولة التوفيق بين العرب واليهود ، فإن الأمر لا يعدو في حقيقته سوى ركوب موجة الحركة الوطنية المصرية محل التناقض القائم بين الحركة الصهيونية وبريطانيا لحثها على تحقيق وعد بلفور الذي اعتبروا أن بريطانيا قد أخذت تلتكأ في تنفيذه بعد الحرب العالمية الثانية حتى وصل هذا التناقض مداه من قبل بعض العناصر المتطرفة بإنشاء حركة التصحيحين التي قادها جابوتنسكي ، ولم يتسن للمؤلفة تناول القضية كما طرحتها الصحف خاصة وانها اعتمدت على منهج تحليل المضمون لتلك الصحف كذلك قولها بالنسبة لمجلة الكاتب المصري انها ضمت دعاء القومية المصرية فهو تعبير غير دقيق في الفترة التي صدرت فيها المجلة لأن فكرة القومية العربية لم تكن قد تبلورت بعد وكذلك لم تورد معلومات عن حجم تأثير هذه الصحف وردود فعل القضايا التي أثارها سواء بالنسبة للعرب أو اليهود .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ان الكتاب دراسة هامة عن تاريخ الصحافة اليهودية واتخاذ الصهيونية وسيلة لبحث افكارها رغم ادعاءاتهم بأن اليهود في مصر قد فوجئوا بقيام الكيان الاسرائيلي .



زمن الوطانات

شعر : محمد مهران السيد


ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اني من القوم الذين ..

إذا أحيوا ،

.. لا يحطون الرجال ،

.. ولا يرمحون الخيولا

أو ينزلون الماء ..

حتى

لو ترامى الموت ..

وانبجست بحار النار ..

طوفانا مهولا .

• • •

يا أيها القمر .. الذي

مات الصحابة دونه ،

جيلا فجيلا ،
أنا قادم ..
مهما تكاثفت الرزايا ،
والممالك ...
الذين تجمعوا ..
شرا وبيلا

• • •

أحرقت كل مظلة خلفي
والهبت الصهيلات
ونشرت رايات الخروج ،
فلا أعود ...



بغير هودجك المضيق
في شعاب الليل

أو .
أردى قتيلا .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

• • •

انا لست أملك ، في مواجهة السلاطين
الذين تكاثروا ..

مالا ،
ولا خدما ،
ولا عسا ،
ولا ..

سيفا ثقيلا
باطافري آتيك
محموما ،

وما عندي سوى هذا
.. الغرام بديلا

• • •

فتلفتي للخلف، رغم وعيدهم
سترين وجهك .. في جباه قبيلتي
جبا
واشراقا
واصرارا نبيلًا .

• • •

لا تسرفي في الظن
أو تثقي

بنخاس، يتاجر في عفافك

ثم يمضي بيننا
ورعًا
خجولا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

• • •

هذا خباؤك
لا تغل من الطواف به
فلا ننساه ..
فجرا ،
أو اصيلا

...

ولقد تناديننا
فاقبلنا .. ،

ولو كنا فلولا !!

نحن القبيلة كلها
— بدر البدور —
وان بدونا في غيايات الدجى
.. نفرا قليلا
ضموا الجراح على الجراح
فزجرت ،
كل المآذن في سماء الصمت ..
.. وانتفضت .. طويلا

• • •

لا تشرقي بالدمع
وادخره للشهداء
كوني ، مثل بعض الناس ..
لما يفجع الخل الخليل
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذا جلالك
لم يزل رغم التضاف الليل كالافعى
بقافلة الهوى ..
يهدي السبيلا

• • •

وتمسكي بلسانك
العربي ،
في زمن الرطانات التي ..
تحتاجنا
مطرا ثقيلًا

• • •

اللافتات تغيرت
واستبدلوا الاسماء
وارتفعت ترفرف في سماءك
بومة نكراء ... ،
لطخت النجوم
وغيرت مجرى الشروق
وغيببت شمس الحقيقة
وانحنى ..
رمح الشموخ ..
.. قليلا

● ● ●
القادمون من النافي
يشترونك في المزاد
منازلا

ومرابعا
ونسائما
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويدنسون الحب في وضوح النهار
ويزجرون الطير .. ان رام المقيلا ،
ايصدنا نحن العطاشي
حارس الابار
فما يشرب الشذاذ
ماء .. سلسيلا ؟!!

● ● ●
قد يجبن الفصحاء
أو يترفع الشعراء
عن هذي التفاهات التي
لم يخلقوا أبدا لها

— أو هكذا يتشدقون —

فهم ..

عصافير السنين الاتيات

وهم ..

لسان ليس يفهمه الرعاع

ولا السواد

ولا صعاليك الصحارى

والحجيج ،

.. ، ومن يهولهمو انطفأؤك غيلة

في مطبق السلطان ..

تأين المثولا



لكن ناسك ..

لا يطيقون السكوت

وان بدا نغم الأحية

في مراعي الشيخ ، والصبار

مهجورا .. محيلا

والماء ..

متصل الانين

ومالح كالدمع

.. لا يروي الغليلا

• • •

قدر الذين اذا احبوا

لم يروا في العشق يوما ..

مستحيلا

ان هذه أمتكم أمّتواحدة وأنا ربكم فاعبدون

بقلم الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يخلط كثير من المسلمين بين المعاني المختلفة لكلمة أمة، عندما يقرأون هذه الآية التي جعلناها عنواناً لهذا المقال، وعندما يذهبون إلى أن الأمة في هذه الآية إنما تعني المفهوم السياسي للأمة، وأن الوحدة في هذه الآية هي الوحدة السياسية ما دامت الأمة إنما تعني المجتمع السياسي.

وأسباب هذا الخلط فيما نرى، أنهم لا يقدرون وقفة المستأني عند كلمة الأمة ليعترفوا على المعاني المقصودة منها عند استخدام القرآن الكريم لها في المواضع العديدة المختلفة — ولو أنهم وقفوا مثل هذه الوقفة المستأنية لتبين لهم في وضوح وجلاء أن هذا المعنى الذي يصرون عليه — وهو المعنى السياسي للأمة — لم يرد قط في القرآن الكريم.

انهم في موقفهم هذا يؤكدون لنا أنهم لم يدركوا أبداً المعنى الحقيقي المقصود من كلمة الأمة في هذه الآية، ولم يتعرفوا على الأسباب التي من أجلها نزلت هذه الآية، ولا الظروف التاريخية المحيطة بالمجتمع الإسلامي عند النزول.

انهم في موقفهم هذا انما يغالطون أنفسهم قبل أن يغالطوا غيرهم، من حيث انهم قد وضعوا لأنفسهم الهدف الذي يستهدفونه ويستثمرون الآية في تحقيقه قبل أن يتبينوا معنى الكلمة — ولعلمهم لا يرغبون في الوقوف على المعنى الحقيقي المقصود من الكلمة من حيث أنه قد لا يسعهم في تحقيق أغراضهم المسبقة، والتي تدور حول الوحدة السياسية للأمة الإسلامية.

انه، إلى هؤلاء المغالطين أنفسهم، نسوق هذه المعاني القرآنية لكلمة الأمة — لعلهم بعد هذا يدركون الحقيقة ويتعاملون مع الآية على أساس من استخدام القرآن الكريم لكلمة الأمة.

وردت كلمة الأمة في القرآن الكريم في أربعة وأربعين موضعاً، وردت بمعنى الدين في موضعين، ووردت في معنى الحين أو الزمن في موضعين ووردت بمعنى الجماعة بجميعهم أمر ما في بقية المواضع.

ومن أمثلة الأمة بمعنى الدين قوله تعالى: «انا وجدنا آباءنا على أمة» — أي على دين.

ومن أمثلة الأمة بمعنى الحين أو الزمن قوله تعالى: «واذكّر بعد أمة» — أي بعد حين من الزمان.

ومن أمثلة الأمة بمعنى الجماعة يربطها رابط ما. قوله تعالى: «وما من دابة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه، الا أمم أمثالكم» — أي الجماعة من الدواب والطيور — وليس من الإنسان فقط.

وعلى هذا الأساس الأخير يمكن أن يقال: الأمة الإسلامية بمعنى الرابطة الدينية — أي الأمة التي يجمع بين أفرادها رابطة الدين بصرف النظر عن

الجنس واللغة . وعلى هذا الأساس يدخل المسلم في أية دولة تكون في الأمة الإسلامية بالمعنى الديني، ولا يدخل أبداً في مفهوم الأمة السياسي من حيث أن المفهوم السياسي مرتبط بمقومات كثيرة هي التي تأتي الدولة القومية نتيجة لوجودها .

والظرف التاريخي الذي نزلت فيه الآية القرآنية : « وان هذه أمتكم أمة واحدة ... الخ » يجعل معنى الأمة هو الجماعة التي يربطها رابط الإسلام من بين سكان المدينة بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة . ان المسلمين جماعة واحدة في مواجهة المشركين وأهل الكتاب .

والذي يباعد بين المفهوم السياسي لكلمة الأمة في ذلك الحين، هو أن المفهوم السياسي لكلمة الأمة لم يكن موجوداً قبل القرن التاسع عشر، وأنه وجد في هذا القرن بفضل تقدم الفكر السياسي وظهور مبدأ القوميات — ذلك المبدأ الذي قرر أن الأمة هي مصدر السلطات ، وأسقط حق الملوك في استمداد السلطة التي يتصرفون بها في شؤون المجتمع — من الله : الحق الإلهي .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

انه في هذه الفترة الزمنية كان لكل أمة الحق في أن تقيم دولتها القومية — وهو حق لا يمكن الحصول عليه الا بعد أن تتعرف الأمة على ذاتها ، وتدرک المقومات الأساسية التي تجعل منها أمة .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الذين بحثوا في مقومات الأمم لم يجعلوا الدين من بين المقومات الأساسية ، وإنما جعلوا اللغة والتاريخ ، والأرض والمصالح المشتركة ... الخ .

الدين رابطة ما بين الجماعات — ولكنه ليس الرابطة القومية التي هي الأساس في قيام الدولة القومية ، وفي منح كلمة الأمة مفهومها السياسي المعاصر .

وهنا نشير إلى حقيقة قرآنية تساعد في تحديد المفهوم القرآني لكلمة الأمة

هي الحقيقة التي وردت في الآيات القرآنية الكريمة: «واذكروا اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ... الخ» «ولو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم ...»

ان هذه الحقائق انما تشير إلى الوحدة التي حققها الإسلام بين العرب، وليس بين الأمم والشعوب من خارج الجزيرة العربية.

لقد كانت العصبية القبلية هي التي تفعل فعلها في المجتمع العربي قبل الإسلام، وحين جاء الإسلام جمع بين الأفراد الذين أسلموا من القبائل المختلفة — أي أن الرباط هنا ليس القبيلة وانما هو الدين الجديد الذي دخلوا فيه أفرادا، وعلى الرغم من اعتراض قبائلهم.

لقد تناسى كل منهم انتسابه إلى قبيلته، وحرص كل منهم على انتمائه للدين الجديد — الإسلام، انه من هنا كانت الرابطة الدينية التي جعلت منهم أمة واحدة.

فالأمة في الآية، الجماعة العربية التي أسلمت، والتي كان كل واحد من بنينا ينتسب إلى قبيلة بعينها وتخلى عن هذا الانتساب حين دخل الإسلام.

لقد تخلى عن العصبية القبلية في الجزيرة العربية، وأخذ يتعصب للإسلام في الجزيرة العربية، ومن هنا أصبح المجتمع العربي المسلم أمة واحدة.

لكن هذا لا ينسحب أبدا على المعنى السياسي المعاصر، وانما يقف أبداً عند حدود الرابطة الدينية التي ربطت هذه الجماعة.

ومرة أخيرة نقول ان الأمة في الاستعمال القرآني الجماعة يربطها رباط ما — وليس يلزم أن تكون هذه الجماعة من بني الإنسان، فقد تكون من الطير، ومن الدواب والأنعام.



أدب الجيل الجديد
والغزو الثماني الصهيوني
وفتوانين العيب
فنيابندوة

د. يوسف ادريس

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في الاسكندرية

اعداد : سعيد سالم

اقام نادي سموحة الرياضي الاجتماعي الثقافي في مدينة الاسكندرية ندوة مفتوحة مع الدكتور يوسف ادريس بتاريخ ١٩٨٢/٢/٤ . وهذا تلخيص لما دار في الندوة :
كلمة الدكتور يوسف ادريس :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبادر أولاً بأن اشكر كل منكم على حدة لفضله

بالحضور في هذا الجو الرهيب الذي لم أكن أتوقعه . لقد قلت لصديقي الأستاذ سعيد سالم أنه اذا حضر هذه الندوة ثلاثة فقط فهم ثلاثة أبطال ، ولست مندهشا أن أرى بالاسكندرية كل هذا العدد من الأبطال . ثانياً أشكر اللجنة الثقافية ببنادي سموحة ومجلس ادارة النادي والسيد رئيس النادي . ثالثاً ، وبشكل خاص أوجه شكري إلى صديقي العزيز الناخب الفنان سعيد سالم (تصفيق) ابن الاسكندرية الذي دخل المسرح الادبي دخول العاصفة والذي أتوقع أنه سيظل يثير من حوله تلك العواصف الخلاقة ، وأشكر أيضاً أصدقائي من الشباب كل كتاب الاسكندرية الذين لولاهم لانطفأ نور الحقل الأدبي طوال الأعوام الماضية فقد حملوا المشعل وكنت أحس بسعادة عميقة وأنا أتلقى كل أسبوع تقريرا كتابيا أو كتابين لكتاب الاسكندرية بالجهد الفردي مقاومين التيار السائد بالقاهرة رافعين علم الفن والشورى والمقاومة عالياً . وهذه الحركة الأدبية الخطيرة في رأيي شكلت نقطة الجذب التي أحضرتني الليلة الى هنا . أريد أن أتقرب إلى هؤلاء الأدباء شخصياً وأقبلهم واحتضنهم واستمد منهم ومن قدراتهم الخلاقة القدرة على مواصلة المسيرة في المعركة الرهيبة التي نخوضها بالقاهرة ، والتي لولا الاسكندرية لحدثت لنا مأساة ثقافية خلال السنوات القليلة الماضية . الواقع أنني أحس بفخر بالاسكندرية والاسكندرانية وبالخزائفة الفنية عامة بالاسكندرية لأنها تكاد تكون الحركة الشعبية الفنية الحقيقية ، لا معتمدة على وزارة الثقافة ولا على الدولة وإنما نابعة من صميم وجدان الشعب السكندري الذي يمثل في رأيي قمة النماء بالنسبة للشعب المصري كله . يمثل القمة النامية المتطورة المعطاءة . الحركة الأدبية والفنية بوجه عام بالاسكندرية شيء أفخر به وأحس أنني أنتمي اليه بالروح وان كنت أسكن بالقاهرة ، وحتى لما جئت أشتري أول حاجة عقارية في حياتي اشتريتها في الاسكندرية حتى ارتبط بها لأنني أحس أن السكندر بين يمثلون بالفعل كل ما أتمنى أن يكون موجودا في من قوة وقدرة واحساس بمحتمية وضرورة أن يثور الانسان على واقعه و يغير من مواطنيه وليدفع حركة الحياة الى الامام . والواقع أن العنوان الذي وضعه سعيد سالم لهذه الندوة « قضايا الثقافة المعاصرة » كنت أود أن يكون قضايا الساعة لأنني لست أحب كلمة الثقافة وباستمرار اشطها من ذهني وأضع

بدلاً منها كلمة الحياة . ذلك «لأنهم» — حسب المفاهيم التي كانت سائدة — كانوا يعتبرون الكتاب والثقافة شيئاً ترفياً للخاصة كالأتانة والشعر الجميل . مفهوم الثقافة في رأيي هو الجزء الرئيسي والأساسي في حياة الإنسان لأن لكل إنسان حي ثقافته التي تحدد خطواته في الحياة والتي تحدد اتجاهه والتي تشكل شخصيته ووجدانه وقدراته . وربما لعدم ادراك الكثيرين لأهمية وحتمية دور الثقافة بالنسبة للمواطن في مصر فأننا نجد باستمرار أن حركتنا الفكرية والسياسية والاقتصادية ينقصها العنصر الثقافي ، وهذا يتضح مما نقرأه عن كافة مشاكل الحياة بمصر . واضح أن كم الأفكار المطروح لحل هذه المشاكل كم قليل جداً . لا توجد أفكار نيرة مبتكرة مطروحة على الساحة الفكرية لحل أي مشكلة . هناك ما أسميه أنا بفقر الفكر وفقر الفقر . فقر الفكر لأن الغنى ليس هو الغنى المادي لأن المادة لا تخلق نفسها وإنما الغنى المادي يخلق الثراء الفكري وايضاً الثراء يخلق أفكاراً ثرية . نحن عندنا دائرة مفرغة من فقر الفكر المؤدي إلى الفقر المادي والمؤدي إلى الفقر الفكري وهكذا دواليك . والحل الأمثل لمشكلتنا في مصر أن نعكس الدائرة إلى غنى فكري نتيجته غنى مادي نتيجته غنى فكري وهكذا صعوداً إلى الحياة التي يستحق أن يعيشها الإنسان . لهذا لا اعتبر الثقافة شيئاً كمالياً . الثقافة هي الحياة . هي الفن هي الأدب هي الاختراع هي التفكير . أرجو أن تعتبروا عنوان ندوتنا هو مناقشة قضايا الساعة . ولي طريقة في ندواتي أولاً لا بد أن تكون ممتعة والا ينصرف جمهوري . وأتعهد لكم أنها ستكون ندوة ممتعة . أنا جئت هنا كي استفيد منكم لأن حضوركم هنا في هذا الجوليس عملاً سلبياً . أنا أفضل فيما أدعو اليه بفكرة التمسرح بين المحاضر والجمهور بحيث تتحول المسألة إلى وجود متعاون متفهم متفتح تفكر فيه معاً ، وربما خرج كل منا ليس بفكرة «أنا» وإنما بفكرة ليست فكرته أو فكرتي ، بل بفكرة تالفة تنبع من هذا الاجتماع . لذا فاني افضل شكل النقاش المفتوح حسباً يدور بخواطرهم ، ولتفض معاً أمسية ممتعة حقيقية ، لأن الثقافة أحد أركانها الرئيسية أن تكون كالحياة ممتعة ، فشكراً مرة أخرى لحضوركم (تصفيق) وهأنذا تحت تصرفكم وأرحب بأي سؤال أو استفسار أو استجواب أو اتهام .. «اللي يطلع من ذمتكم» .



وبدا جمهور الحاضرين في توجيه الأسئلة إلى الدكتور يوسف ادريس .

● مرحبا بكم في الاسكندرية موطن المكتبة الشهيرة المندثرة وأود أن أسألكم عن سبب توقفكم عن تقديم ندوة الاثنين ؟

اجاب الدكتور يوسف ادريس :

— الحقيقة أن ندوة الاثنين ولقائي بالرئيس حسني مبارك لها قصة ظريفة ممكن أحكيها لكم . الواقع أنه في أواخر عهد الرئيس أنور السادات كان كم الحرية المتاحة للكتابة أو لممارسة أي نشاط فكري قد شحبت كثيراً جداً ، الى حد أن وصلت أنا شخصياً إلى مرحلة انعدام الكتابة أو الرغبة في الكتابة تماماً . ولقد تفاءلت كثيراً وبدون أي أسباب مكتوبة أو محسوبة لترشيح الرئيس حسني مبارك « مش عارف كده وشه عجبنني » ، بس أنا فلاح ، والفلاحون لا يؤمنون إلا بما يروونه بعيونهم ، وشكاكون ومعتقدون وعاشوا في الظلم وتحته نيران العسف ولا يصدقون بسهولة . طيب « ده ما تعرفوش » . كان السياسي في الماضي يرشح نفسه من خلال حزب وبرنامج وآراء معروفة وشخصية معروفة للشعب . لكن الرئيس دلوقت بيختار النائب الذي يحل محله لأي سبب مفاجيء . أنا أحببت أن أعرف من هو حسني مبارك الذي انتخبته مندفعاً كما فعل الشعب المصري تماماً . كان لابد إذن أن أقابله وأنا عمري ما طلبت مقابلة أي رئيس مصري ولا أعرف البروتوكول اللازم . أخذتها ببساطة شديدة وتوجهت بعربتي إلى قصر العروبة بمصر الجديدة . عرفني الضابط وتعجب لطلبي حيث لا يوجد موعد محدد لي من الرئيس . اتصل بجهاز لاسلكي كان معه فأخبروه أن يبلغني أن أذهب إلى قصر عابدين ليحدد لي كبير الأمناء موعد المقابلة . طلبت ورقة وقلم . كتبت فيها للرئيس أنني حضرت لمقابلته ولم أتمكن وتمنيت له التوفيق وذهبت إلى بيتي . في الساعة الثانية عشرة مساء دق جرس الباب فقلت آه .. يبدو أنني ارتكبت غلطة قاتلة جاء وقت دفع ثمنها . لكنني شعرت بالطمأنينة عندما وجدت القادم رجلاً محترماً معه مظروف من رئاسة الجمهورية وفتحت المظروف . نرجوا الحضور غداً بقصر الظاهرة الساعة العاشرة والنصف لمقابلة الرئيس . أنا مواعيدي سيئة للغاية . كان مرة عندي

موعد مع شكري القوتلي ووصلت متأخراً نصف ساعة وحزنت وأسفت وآليت على نفسي ألا اطلب مقابلة أحد إلا إذا نمت قدام نفس المكان . قعدت أكتب للصبح حتى لا يضيع الموعد . ذهبت إلى مصر الجديدة الساعة تسعة ونصف . رحت لغاية المطار أتفصح وأشرب عصير وحاجات كده حتى وجدت الساعة تقترب من العاشرة والنصف ، فذهبت إلى نفس المكان الذي كنت به في الأمس . اتضح ساعتها أنه ليس قصر الطاهرة وانقذني صديق وجدني هناك فقاد عربته وطلب مني أن أتبعه . طبعاً مواعيد المقابلة مرتبة ولكن لحسن الحظ أن الرئيس تأخر قليلاً مع الوفد الأمر يكي بمجرد وصولي قادوني مباشرة إلى مكتب الرئيس . فجأة وجدت نفسي أمام مواطن مصري . صريح ، جده ، شهيم ، مبسم . الحقيقة كانت مهمتي مختصرة . أن أعرف الرئيس الجديد وأن أحذره من شيء معين سأقوله حالاً . بدأت أومن أن طريقتنا ككتاب غلط . ننتظر حتى يحدث الخطأ من الحاكم ثم نبدأ في الكلام والنقد . لماذا لا نمنع الغلط قبل أن يحدث . فأنا ذاهب وكأنني محمل من الشعب برسالة أن أقول له لا تسمع كلمات الصحفيين المصريين ولا تقرأ لهم ما يكتبون عنك ولا تقرأ لهم النفاق الذي تعودوا أن يقدموا به الحكام وأنت يا ريس من صميم قلبي آخر عربية في آخر قطار يحمل آمال المصريين منذ ثورة عرابي ولست أريدك أن تخسر . أرجوك . لأن هؤلاء متخصصون في إفساد كل نفس طاهرة . الحقيقة انتفض فيه المقاتل وأنا مؤمن أن أي انسان قاتل فهو انسان شجاع . بالذات ضابط الطيران الذي يقامر بتسعين في المائة من عمره . وكان مراد غالب سفيرنا في موسكو قال انه حضر حفل تخرج حسني مبارك والمارشال الروسي بالأكاديمية أشاد باثنين فقط هما واحد روسي والمصري كان حسني مبارك . المقاتل الحقيقي لا يمكن الا أن يكون انساناً ممتازاً وشهماً ونظيفاً وقوياً . قلت له هذا الكلام خوفاً عليه انتفض فيه الروح المقاتل وقال لي « لا تخف . أنا أقوى منهم » . والحقيقة بالتفريس في ملامحه تفرس الفلاح الذي تمرس على معرفة خبايا النفس البشرية أحسست أن هذا الرجل يستحق الثقة التي أعطاها له الشعب وأحسست أيضاً أنه ليس رجلاً بسيطاً ، فهو يحسبها بدقة شديدة جداً قبل اتخاذ القرار . كل يوم يعمل خطوة . قد تكون خطوة واحدة انما في الاتجاه الصحيح دائماً . أخرج المسجونين السياسيين . غير

الوزارة . هـ استراحة الر ياسة بالهرم . حول استراحة الر ياسة في مرسى مطروح إلى مصحة . كل يوم خطوة للامام . يعني إذا استمر ٣٦٥ يوم أخبار بهذا الشكل تتغير حياة مصر كلها إلى الأحسن . فهو انسان غير مندفع مثلي وأنا سمعت عنه قصصا كثيرة حول تخطيطه اثناء الحرب وقبله وعرف عنه تكتيك التويه ثم المفاجأة . والله نحن كل ما نريده أن يعطينا ربنا رئيسا ذمته نظيفة . بعد هذا قالوا اني سأكون موسى صبري بتاع حسني مبارك . البلد كلها بتتغير . لابد أن نشتغل كلنا معه . وفعلنا رحلت للتليفزيون وقلت أنا عايز أعمل ندوة سياسية مدتها ساعة ورحب التليفزيون بالندوة . أحضرت الناس وعملت الندوة وبدأت المشاكل . لأن الأجهزة كلها عندنا وبالذات الاعلام اعتادت على طريقة للعمل مضادة للحرية تماما . يعني موجهة ١٠٠٪ وأنا عامل ندوة حرة وأحضرت بعض الناس الذين كانوا ممنوعين من الكتابة . المسؤولون تدخلوا وقالوا لأ نحذف دي ونترك دي واذيعت الندوة بعد أن دخلنا في معركة ولكن الذي أذيع جزء منها فقط . ومع ذلك أثرت في الناس جداً و بدلا من أن يقولوا هذا حرام وهذا حلال أصبحوا يقولون هذا ديمقراطي وهذا غير ديمقراطي يعني حصل نوع من التوير السياسي . شعرت أن هذه الندوة يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في محو الأمية السياسية التي هي أخطر عندنا من أمية القراءة والكتابة . المواطن عندنا لا يعرف حقوقه . النتيجة أنه مظلوم . يعني هناك قوانين صدرت عندنا لو عرفت أي صحافة غربية معناها بالعربي لما توالينا من الضحك مثل قانون العيب . العيب ده اسم رواية كتبها . اشياء غريبة جداً واستفتاء ومضبوط وتمام . اشتغلي يا دولة على رأي فرفور تشتغل الدولة . لا يوجد وعي سياسي يستطيع أن يصنع مواطنا صالحا عارفا حقوقه واجباته وهذا كان هدف وموضوع الندوات . استعمال وسيلة إعلامية خطيرة هي التليفزيون لمحو الامية السياسية ، لكنه انفض لي أن الحزب الرجعي في مصر قوي جداً .. ولا أقصد به الحزب الوطني الديمقراطي لأ ، الحزب الرجعي كان موجوداً حتى من أيام عبدالناصر ومتكاثفا جداً ومتربطاً جداً ومتبادلاً المنفعة جداً وضد أي نور لأنه يستفيد من الظلام وضد حرية الصحافة لأنها تكشف سرقاته وعوراته . وحزب ضد الحكام الأحرار لأنهم لا يرتشون . ضد كل ما هو جميل ونظيف وخلاق . وهو حزب

متواجد في كل مكان جامعة .. صحافة .. تليفزيون .. مؤسسات قطاع عام .. قطاع خاص ، متواجد في كله . قوي جداً جداً . وبدأت أفهم ليه حسني مبارك يتحرك ببطء خطوة خطوة لأنه كان ممكن ينزل مجموعة قوانين في ٢٤ ساعة تغير كل شيء . انما اتضح أن تغيير الواقع للذين يعرفون كنه هذا الواقع يتطلب طولة بال والحزب الرجعي في حالة استفطار وعارف انه اذا طالبت الحرية سيدوب من تلقاء نفسه لأنهم كائنات جليدية أي حرارة صدق تذيبهم . وانا قلت أن ربنا خلق الدنيا في ستة أيام حتى يرينا أن عنصر الزمن داخل في صميم عملية الخلق وأنه حتى الله سبحانه وتعالى لا بد له من زمن حتى يقول للشيء كن فيكون ، فابالك بالأوضاع التي كانت قد وصلت بمصر إلى الطرق المسدودة في كل مكان حتى كاد الإنسان أن يكف عن المشي في الشارع . استشرى التسبب وعدم الانضباط والرشوة يعني وصلنا إلى نقطة التوقف التام عن الحياة . لتغير هذا بتغير من هم على المسرح صعب خاصة ان القيادة الجديدة لا تعرف من هم المخلصون الحقيقيون والمسألة يلزمها وقت ، لأن فيها حسابات مش بتاعتي وأنا لست رجل سياسة مثل الدكتور القاضي مثلاً .. هو هنا ؟

(من نهاية القاعة يقول الدكتور القاضي) :

— عايز اعلق على كلام سيادتك .

و يواصل الدكتور يوسف ادريس حديثه قائلاً :

— أنا قلت أدع السياسة للسياسيين وأعود ثانية كاتباً مندفعاً ، فالندوات تتطلب شخصاً محايداً وأنا رجل صاحب رأي ، وأجهزة الاعلام وبالذات التليفزيون لا تساعد على أن نجعل من الندوة شيئاً مفيداً وتحية خاصة مني للدكتور القاضي (تصفيق) تفضل يا دكتور .

الدكتور القاضي :— لي تعليقان الأول عن الغنى هو الذي يخرج الثقافة .

يوسف ادريس :— المقصود هو غنى الشعب وليس غنى الأشخاص .

— يعني ايه ؟

— الفقر المادي يؤدي إلى الفقر الفكري وهكذا .

— اصل معظم الأدباء فقراء على باب الله .

— لست أقصد الثراء الفردي .

— يعني الرجل اللي يوميته جنبه مثلاً لن يستطيع شراء كتاب .. آه والنقطة الثانية خاصة بالحزب الرجعي الذي تفنن في مص دماء الشعب . هذا الحزب نما بشكل واضح جداً وأنا متفق معك في نقطة الزمن كضرورة لكن هذا الحزب مالم يضرب مرة واحدة فسوف يضربنا مرة ثانية و يدخلنا السجون من جديد . هذا الحزب لا يجب أن يضرب بالتجزئة ولا ننتظر أبداً عليه لأنه قوي ومتمكن ونهب كل شيء في البلد لدرجة أن أصبح علاج المشكلة الاقتصادية عندنا يحتاج إلى أكثر من معجزة . حالتنا في منتهى التعب . نحتاج إلى ثورة يقودها رئيس الجمهورية من فوق لضرب هذا الفساد وسيؤيدها الشعب لأن الشعب حالياً مضرب عن العمل بالفعل . والناس بعد حسني مبارك نما عندهم الأمل ومالم يتحقق فلن يعمل أحد لأن جهده وعرقه يأخذه لص . رشاد عثمان قال في التحقيق أن هناك أفراداً في مصر عندهم مليار . يجب أن يقوم حسني مبارك بثورة وسيجد القوة والحماس من الشعب للعمل والا فسوف يستمر الخراب . وسؤالي الآن هو أثر تطبيع العلاقات مع « إسرائيل » على الثقافة المصرية لأن المعاهدة تهم في وضوح أن يكون التبادل الثقافي وثيقاً في جميع النواحي بدون أي حظر عليه وطبعاً فيه اختلاف كبير بين الثقافتين لاختلاف الديانات والمعتقدات عند الشعبين . وسيادتك قلت انك لن تتعامل معهم الا بعد الانسحاب من الأراضي المحتلة وحل المشكلة الفلسطينية . شكراً .

الدكتور يوسف ادريس :

— انا معك تماماً أيها المناضل النبيل الدكتور محمود القاضي .. هه .. الذي كان متها بالتجسس (ضحك) .

يعني فعلاً هناك تعبير لشكسبير يقول فيه مامعناه انه لو استخدمت كل عطور العرب لما زالت تلك الرائحة . لست أعرف ماذا أقول لك يا دكتور .. الرئيس حسني مبارك وحده ومن فوق لا يستطيع أن يضرب الحزب الرجعي . هو من فوق ونحن من تحت . أنا اعتقد أن الرجل له حسابات أنا لا أعرفها . السياسة لا يجب أن تكون

نكم فرد ، وإنما أحزاب وتنظيمات وجهات والسياسة ليست اجتهداً فردياً أو ناسياً . وكما قلت أنا أعمل دوري السياسي من خلال فني وحاسي وابداعي لهذا فأنا لا أنضم إلى أحزاب . وأنا مثلك بالضبط أريد أن يحدث التغيير من الأكر . من الآن . إنما المسائل وحساباتها . كيف يكون التغيير وإلى من يعهد المسؤولية ؟ كلها مسائل سياسية لا أفهم فيها وأنا باستمرار موقف معارض حتى لو كنت رئيس حكومة فسوف أعارض نفسي لأنني أتطلع دائماً لما هو أحسن وأحسن .

أما من ناحية حكاية إسرائيل فأنا أكاد أكون الكاتب الوحيد الذي استطاع أن وقف وحده ليقول للصحافة الاسرائيلية والثقافة الاسرائيلية وكل الحيل الاسرائيلية . (تصفيق) . وقد حاولوا معي البدع . تلغراف من أمريكا نرجو تحديد موعد مقابلة مراسل النيويورك هيرالد تريبيون وبعدين يطلع ذو شخصية مزدوجة يعني اسرائيلي فأرفض أقابله . مرة واحد قابلني ودردش معي شوية وثاني يوم نشرها في نيو يورك تايمز وكان أميناً جداً في نشر الحوار وكان اسمه آموس إيلون وكان نص الحوار :

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

- أنا محرر نيو يورك تايمز .
- أهلاً وسهلاً ..
- أريد أن آخذ معك تحديثاً
- أريد الذهاب إلى منزلي .
- هل عندك مانع أن نتحدث معي على السلم ؟
- لا ..

لماذا لا تذهب إلى إسرائيل ؟
- وهل من المفروض على أي شخص أن يزور إسرائيل أم هي بطاقة شخصية لا ؟

- لا ، بل لأنك كاتب ومعروف ، كما أن الرئيس السادات زار إسرائيل .
- وهل هذا يحتم عليّ الزيارة ؟ .. طيب السادات ده رجل دكتاتور يستطيع أن فعل ما يشاء أما أنا فرجل منتخب والكاتب ده انسان يخوض عملية انتخاب ومية في كل ما يكتب وأنا لا أستطيع أن أفعل إلا ما يريد الناخبون وهم لا

ير يدونني أن أزور اسرائيل الا بعد أن تتخلي عن أطماعها وتعيد للعرب حقوقها وتجلو عن الأرض المحتلة .

— يعني لا توجد طريقة أخرى للزيارة قبل اعطاء الفلسطينيين حقوقهم والجلاء عن الأرض المحتلة ؟

— يوجد حل آخر ..

— ما هو ؟

— آخذ معي قرائي ..

— كم عددهم ؟

— مائة مليون ..

ونشر الحديث فعلا كما نشر جزء منه في مصر . وكتب عني بتمجيد شديد مع أنه شتم في أنيس منصور بالرغم من اهتمامه بالحديث دائما عن اسرائيل . يعني الحقيقة المواقف التي أخذها الكتاب المصريون ليس لها أي داع .

المواقف المتخاذلة من الهجمة الاسرائيلية التي اعقبت كامب دافيد جعلتني كما يقولون عريانا وسط الذئاب . في القسم الأدبي بجريدة الأهرام بصيت لقيت الياهو بن ليزار طالع من مكتب كاتب كبير في الأهرام ووراء الستة « البودي جارد » بتوعه . تضايقت جداً وقلت للكاتب الكبير أنه ليس من حقه استقبال سفير اسرائيل في القسم الأدبي دون استشارتنا ككتاب بهذا القسم . هذا الموقف النقطه بعض الكتاب العرب الذين يعتقدون أن الكتاب المصريين هم العقبة أمامهم دون الشهرة العالمية . الحاجة المضحكة أن اسرائيل تشتمني بتهمة أنني ضد السامية وأرفض زيارتها والعرب أيضا يشتمونني لأنني قلت أنا لست ضد الاسرائيليين كأفراد ولكني ضد اسرائيل كدولة . عموما أنا أعتقد أننا نحن الذين سنؤثر على ثقافة اسرائيل وليس العكس لأننا أكثر أصالة بكثير جداً والأدب الاسرائيلي مثل الدولة الاسرائيلية أكذوبة .. والكتاب الذين يعطونهم جائزة نوبل أقسم غير حانث أن قصص سعيد سالم أحسن من قصص عجنون مليون مرة (تصفيق) وأنا أعتقد أننا بانسانيتنا وترائنا وحضارتنا وكتابتنا العربية سنهزمهم في هذا المجال

ونسحقهم وأنا غير خائف على الشقافة المصرية من التطبيع بل العكس هو الصحيح . لأنها ستكبح جماح هذا الغرور الاسرائيلي الذي ليس له داعي وعمل حساب لبيجين دون داعي . الرجل افترى ، يشتم مسز تاتشر و يشتم لورد كارينجتون ورجان وعامل فتوة في المنطقة ونحن ساكتين كده وغلباين بحيث لم يبق الا أن نقول له « والنبي تعف عنا » .

اعتقد أن الاسرائيليين أنفسهم أدركوا أن كل هذا تغير وأن هذا لن يعود أبداً وأنها كانت فرصتهم اليتيمة في عصور التخاذل أمام اسرائيل منذ وقت غير بعيد . شجعها أنها تتمادى واعتقد أنهم يخافون من مصر وعلى رأسها رئيس نظيف مقاتل ولا تخف أبداً على رجل مقاتل . الذي قاتل تسقيه الحرب كما يسقى سيف الصلب . ان الهزيمة تأتي دائماً من المهزومين داخلياً . من الجبناء الذين لم يشتركوا في القتال . لم يشتركوا في الحرب ولا اشتركوا في ثورة . الذين قاتلوا لا تخف عليهم .

● سؤال من أحد الحاضرين عن غياب الحركة النقدية في السنوات الماضية فيما يتعلق بانتاج الكتائب الثباني ؟

— الدكتور يوسف ادريس <http://Archivebeta.Sakhril.com>

في تلك الفترة كان كل كتاب النقد بالخارج . لم يكن هنا الا عبدالرحمن ابو عوف وكان مرصفاً وعليه مسؤوليات كثيرة . جاءت فترة من الفترات كنت أكاد أن أكون الكاتب الوحيد المتعاسك على صفحات الجرائد والباقي أو معظمهم يسبحون نعال الأخذية .

● سؤال من احدى الحاضرات

— لماذا لم تعتقل وأنت صاحب الرأي المعارض دائماً ؟

— الدكتور يوسف ادريس

يبدو يا صديقتي العزيزة انني إما أصبحت أكبر من اعتقل أو اعتقد الى حد ما أنني لم أكن مضراً للضرر القاتل . ربما يكون وجودي في الساحة الأدبية دون انتاج يدفع الى التشكيك في وهذا يفيدهم أكثر مما لو اعتقلوني . لأنني لو اعتقلت سأصير

بطلا . يعني يجعلونني لا أنا قادر على أن أكتب أو أنشر ولا أعتقل أيضاً . لهذا فأنا كنت أفضل أن أكون معتقلا بدلا من هذا الوضع السيء جداً . ولذلك كنت أمرض لأنه فعلا وضع ممرض فالكتاب عضو بيولوجي في المجتمع وعمله فعلا الذي خلقتة الوظيفة الاجتماعية انه ينقد . ليس هناك شيء اسمه كاتب يؤيد . وأنا حتى حين الخمس لهذا أو لذلك فهو نوع من النقد لعصر سبق ونوع من قول الرأي في مواقف أو أعمال حدثت . والذي حدث أنه جاء عليّ وقت وجدت فيه نفسي اشتغل ناقدًا وكاتب يوميات واشتغل موجهاً فكرياً واشتغل كاتباً اجتماعياً ، وأقول تعالوا ننظف مصر ومرة ثانية تعالوا ننظف مصر وأكتب عن الصناعة الوطنية في مقال كلمت فيه طلعت حرب وقلت له أن شركة بيع المصنوعات المصرية أصبحت تبيع الموكيت البلجيكي . يعني كان عليّ مليون مهمة لغياب الكادر الذي كان عليه أن يقوم بهامه والحمد لله بدأت طليعة الطيور المهاجرة تعود والطيور المحبوسة في الاقفاص تطلق ، فأنا أحس أنني لأول مرة ممكن أن التقط انفاسي وأحضر إلى الاسكندرية وأتكلم في الفن والأدب . فعلا كانت مهمة شاقة وطويلة واستغرقت مني خمس أو ست سنوات إنما هدبت حيلي بدنياً وأنا لا أريد أن أتحدث عن نفسي كثيراً فهذه معلومات غير معروفة لأنه لا أحد يكتب عني تعانیه أو عن شقائنا ، بل بالعكس كانوا يسلطونهم و يفلطونهم و يقولون لهم لا ، انتم عدوكم ليست أوضاع ثقافية أو فكرية وإنما عدوكم هذا الجيل « اللي قاعد » وهذا الجيل يطلق « أنا » أو فلان أو علان . يعني سوء توجيه حتى في العداوة . أنا لست عدو الكاتب الجديد الذي لا يستطيع نشر انتاجه ولا يجد مجلة ثقافية محترمة تتبنى انتاجه وهم الذين بيدهم كل حاجة وأنا مش ماسك حاجة مثلهم أنا فقط متماسك ومع هذا اطلع أنا العدو في نظر الأجيال الشابة الجديدة ويطلعون هم الأبرياء الذين يشجعون الثقافة والفكر . من أجل هذا يا عزيزي الذي تسأل عن غياب الحركة النقدية كان هذا شيئاً طبيعياً وقد ببح صوتي بخطابات مستمرة لاصدقائي النقاد في العراق والكويت ولندن وباريس ، يا اخواننا ارجعوا تعالوا حتى بوجودكم الجسدي تعالوا حتى ونُسونا لأن الواحد حاسس بالفاريت كلها من حوله والدنيا مظلمة . لم يكن أحد يرجع . الحمد لله بدأوا يعودون وأرجو أن يعود بقية النقاد وفعلا يبتدوا يمسكو

الكوكبة العظيمة من الكتاب الذين افرزتهم السنوات الماضية لتأخذ مكانها الحقيقي في الأدب المصري .

● سؤال من مصطفى بلوزة « كاتب شاب » ، يسأل عن مسألة اغتراب الانسان المصري وخاصة المثقف ؟

— الدكتور يوسف ادريس :

أنا أشك في كلمة الاغتراب هذه ، لأنها كلمة غير مصرية . نحن نعاني هنا من قلة الاغتراب . فالتناس هنا تتدخل في حياة بعضها بطريقة مزعجة جداً . لا أحد يتركك لتغرب هنا أبداً . ياريت . ان هناك تشابكاً شديداً جداً في حياتنا ولا يوجد اغتراب . المصريون عندهم أنماط من القرابة يستحيل أن توجد في أي شعب آخر . . . كأن يقول لك مثلاً : « فلان هذا هو زوج بنت ابن خالة عمه أبوك » ، هذا النوع من القرابة غير موجود في أي شعب من الشعوب الموجودة على الأكثر « يور برثر يور ستر يور أونت » . في قريتنا مثلاً لا يوجد اغتراب كلهم قرايب بطريقة أو بأخرى ، يعني تجد من يقابلني على مقهى مثلاً فيقول لي : « أنت يوسف ادريس الكاتب ؟ » أقول له « آه » يقول لي « نحن نسايب » أسأله كيف ؟ فيضع أن واحداً من محافظته استيوط التي هي محافظته صهر لواحد آخر من محافظتي وهي الشرقية . لا يوجد اغتراب في مصر وإنما يوجد ما يمكن أن يسمى عداء للمثقف والثقافة ، وكان المثقفون لا يذكرون إلا باللعنة والرزالة وطول اللسان ، وانهم زائدة دودية في المجتمع لا بد من التخلص منها . سلسلة من الحكومات المصرية المتعاقبة كانت ترى في المثقفين عنصر تنغيص ولذلك كانت تخلق عندهم الشعور بأنهم أغراب أو شواذ أو نشاز ، وهم ليسوا كذلك بالمرة . ان المثقف قائد فكري في مجاله والأمة تتلخص في مثقفها ، وما لم يلعب المثقفون دورهم في المجتمع — وكنا نتكلم عن محور الأمية السياسية — فجزء من محور الأمية التعريفية على الشخصية المصرية هو أن نعرف دور المثقفين ويزاول المثقفون دورهم لأن المثقفين مثل الخلايا الرمادية في المخ لأنهم الذين يشكلون عنصر الوعي في المجتمع . فإذا كانوا يشعرون بالغربة فلأن العقل المصري كان متأمرًا عليه لأن التصرفات كانت غير معقولة وغير مقبولة بالمرة لا منطقاً ولا عقلاً ولا ثقافة فكان طبيعياً أن يشعر المثقفون بالغربة .

• سؤال من أحد الشبان

— نريد العمل على كسر الحاجز المنيع بين الأدباء الكبار والأدباء الشبان عن طريق التشجيع والنقد وغيرهما .

الدكتور يوسف أدر يس :

أنا لست أرى حاجزا بيننا . الأستاذ سعيد سالم مثلا يزورنا في القاهرة و يرى بنفسه أن من يريد مقابلة أحد سيقابله . لا توجد حواجز .

سعيد سالم :

— يقصد عن طريق التعليق مثلا في المجلات والجرائد .

يوسف أدر يس :

— الكاتب لا يستطيع أن يكتب عن كاتب . يعني أنا ككاتب زميل ولي رؤيتي الخاصة بي سوف أنظر الى عمل الكاتب الآخر من خلال رؤيائي أنا فقط ولن أنصفه الانصاف الحقيقي وهذا لا يأتي الا من خلال النقد أو من خلال حركة نقدية تتفهم عمل هذا الكاتب بطريقة موضوعية تحيط بعمله كله وليس من خلال رؤية فنان . يعني محمد عبد الوهاب مهما بلغ تشجيعه لطرب مش ممكن حيفهم هذا المطرب مثلا يأتي ناقد موسيقي يقدم هذا المطرب ، لأن محمد عبد الوهاب سينظر له من خلال ذوقه الموسيقي ومن خلال تفكيره وشخصيته ومن خلال رأيه في الموسيقى . فالذي حدث أنه لغياب النقد كانت المطالبة الملحة من الكتاب الجدد أن يكتب الكتاب الكبار عنهم . هذا شيء مضحك جداً لأنني عندما أصدرت كتابي الأول « أرخص ليالي » وقراه طه حسين أرسل إلي رسالة مع زميل وطلب أن يعرفني فذهبت اليه وقابلني بترحاب شديد وقال انه يريد أن يكتب مقدمة كتابي الثاني فوقعت في حرج شديد لأنني أمثل ثورة على طه حسين ، لأنني قادم كي أخلص اللغة العربية من المحسنات البديعية والموسيقية وهذه الأشياء ، قادم كي أبشر بقصة مصرية بلغة شعبية . وهذا ضد هذه الثقافة الكلاسيكية كلها لا لأهدمها ولكن لأساهم أنا بشخصيتي وتفكيري وأضعه الى جانب هذه الثقافة لا أن تركب علي هذه الثقافة ، فشعرت بشرف كبير أن يكتب عني طه حسين ولكن

شعرت في الوقت نفسه أنني سأوضع تحت وصاية ثقافته التي طلعت كي أغيرها أو أطورها . يعني لا يمكن أن تقول لنيبي « والنيبي تَبَتَّى هذا النبي » فكيف يكون نبياً إذن ؟ .. الكاتب نبي يبشر برسالة . هل الكتابة صنعة ؟ تحمين خطوط ؟ الكتابة تعني رسالة ، تعني نبوة . وإذا لم يكن عند النبي ثقة برسالته الى حد الايمان المقدس بها ، والى حد أن يرفض حتى أن يقدم رسالته تلك صاحب رسالة آخر ، فمن الأفضل له أن يكف عن الكتابة لأننا لسنا ناقصين كتابة نحن نريد كتاباً نريد أصحاب رسالات نريد كتاباً تكتب لأنها مؤمنة بأشياء أخرى غير القائم والموجود . ما أسهل أن نطبطب على الكاتب الجديد ونقول له يا سلام جدد يا فلان ، القصة التي كتبها قصة ممتازة وتنتهي مهمة الكاتب الكبير بعد ذلك . اسمحوا لي هذا نوع من النفاق . وكثير جداً من كتابنا الكبار يفضلون أن يناقشوا الكتاب الشبان . وقد قالت الدكتورورة نعمات أحد فؤاد مرة أن هناك نفاقاً متبادلاً بينها من اعلى إلى اسفل وبالعكس أيضاً . لأنهم بدلاً من أن يظهروا الكاتب الجديد ويجلسون معه جلسة التدللند ويقول الكاتب الكبير للكاتب الشاب أنت طالع ثورة علي ، فثر وثر أكثر وهات ما عندك وضعه في كتاباتك لأن مشكلتك مع القارئ ، ومهما قلت ان فلان كويس وعظيم فلن يصدقني القراء ، وإن لم يكن الكاتب داخل تكوينه الفكري والفني قادراً على أن يوصل شيئاً للقارئ والله لو تعاون كل كتاب العالم فلن يستطيعوا أن يقدموا له شيئاً . فلا بد أولاً أن يكون لدى الكاتب الجديد شيء ما وأن تحمل كتابته رسالة ما ، وبعد ذلك أن يستحسن كاتب زميل آخر فهذا شيء طبيععي وجليل جداً . انما المشكلة أن هناك سوء تشخيص للأمراض الحركة الثقافية في مصر كأن يقال لكم أن جيلنا هو الذي يحجبكم عن الظهور ، لا ، لسنا نحن وانما هذا « الجديد » المجلة التي تصدر وهذا « الكاتب » المجلة التي قفلوها بعد أن قدمت العديد من الكتاب . كل هذه الأدوات التي اغلقت أو شوهت أو عهد بها إلى ناس لاستعمالهم الشخصي لكي يكتب فيها شلهم . قالوا ان نجيب محفوظ و يوسف ادريس سدوا عليكم الطريق وهذا كذب . مشكلة الجيل الجديد أن يطالب بالاستيلاء على هذه المجالات لأنها من أموال الشعب ويجب أن تصرف هذه الأموال على انتاج الشباب الحقيقي وليس على شلة هذا أو ذاك . وهذا هو

التشخيص الحقيقي للحركة الأدبية .

● سؤال من أحد الحاضرين حول حرية الصحافة الآن ؟

الدكتور يوسف ادريس :

الصحافة عندنا ليست حرة ، لأن الذي يسيطر عليها شيء اسمه المجلس الأعلى للصحافة .. والثقافة يسيطر عليها شيء اسمه المجلس الاعلى للثقافة وكلها أشياء وهمية لا وجود لها . هذه المسائل تحتاج الى ترتيب ولا بد قبل حاجتنا حتى الى تغيير الوزارة أو تغيير سياستنا الاقتصادية نحن محتاجون ولا بد أن نغير صحافتنا ووسائل اعلامنا ، لأنني أمنت أن أي اصلاح ممكن أن نصنعه دون صحافة حرة يمكن أن يشوهه وألا بد من تغيير طاقم المناقنين والمطبلاية والمزغردين المسكين بالصحافة الآن ولا بد أن تعود الصحافة المصرية الى أيدي المخلصين من أبناء هذا الشعب .. الى الذين قلبهم على الشعب وليس على منافقة الحاكم للمحافظة على وظائفهم ولذلك نطالب بأن يكون رئيس ومجلس الادارة ورئيس التحرير بالانتخاب ومجلس تحرير بالانتخاب ليتحمل المسؤولية مع رئيس التحرير أمام كافة الأجهزة وهذا تتحول الصحافة من صحافة تصدرها الدولة وبحرها موظفون بالدولة الى صحف تعبر عن رأي وضمير الشعب ممثلا في صحفيين أحرار مؤمنين بحقوقهم في التعبير أولا وليس بمرتباتهم ووظائفهم وثالثا مسؤولين علنا أمام الهيئات السياسية المعنية بالأمر في مصر . انما الوضع اليوم لا توجد قاعدة ولا يوجد ضمان ، يعني لي مقالات كثيرة جداً بالأهرام مرفوضة ولم تنشر لأن الصحيفة تمتلكها الحكومة و يشرف عليها موظف معين من الحكومة اسمه رئيس التحرير . ولهذا نحن نريد تغيير هذا الوضع وأن نجعل مسؤولية رئيس تحرير الجريدة أمام القراء وأمام العاملين بها وليس أمام الحكومة .

● سؤال من احدى الحاضرات

— هل تعني عودة بعض الكتاب المبعدين ان هناك اتجاها إلى حرية الصحافة ؟

الدكتور يوسف ادريس :

أنا أدعو الله أن تكون هذه هي البداية . أنا فرحان طبعاً لأنني عندما أفتح

الجورنال وأجد به أحد بهاء الدين ومحمد عوده وغيرهم ولكن هذه مجرد بداية فقط والوضع الطبيعي أن كل الناس تكتب و يكون هذا بقانون وضمانات دستورية . أرجو أن نكون في حلم التغيير ، وهذا الذي يحدث مؤثر عظيم جداً ، باقي تنظيم هؤلاء الناس . أنا عندما أرجع وأجد رئيس تحرير معيناً وبيده أن يمنع مقالتي فيجب أن يتغير هذا الوضع أولاً . لابد من تغيير الجهاز نفسه وطبيعته وأسلوب العمل به .

● سؤال من الكاتب الشاب ملاك ميخائيل :

— أرسلت إليك مجموعتي القصصية الأولى ولم تكتب عني كلمة واحدة ؟

الدكتور يوسف ادريس :

اسمعوا يا اخواني أنا لا أعرف لماذا نحن مختلفون حول هذه النقطة . أنا أتلقى اسبوعياً حوالي ٣٠٠ خطاب من القراء وعلى الأقل حوالي ١٥ كتاباً جديداً . وأمامي لأقرأ جميع صحف العالم والدول العربية ، وعلى أيضاً أن أقرأ قراءاتي الخاصة . يعني لما حضرتك تبعث إلي بكتابك فهذا شرف كبير لي أعزبه . ولكن أنا كاتب يا ناس . أنا كاتب يا ناس . أنا لوتفوت هذه العملية لتطلب الأمر عمرين إلى جانب عمري . أنا كنت أكتب نيابة عن النقاد الهاربين . أقول الهاربين لأنهم تركوا مصر بارادتهم . أنا اخترت البقاء بمصر حتى لولم أكتب . أقعد بجسدي بفكري بعد إباتي بوجودني حتى لولم أكتب . ومن الطبيعي ألا أستطيع القيام بواجب النقد نيابة عن غيري إلا لبعض الوقت فقط . وبدلاً من أن تطالبني بهذا أكتب رسالة إلى الصحف قل فيها يا نقاد يا مصريين يا هاربين في الشانزليزيه وكافيه دي لاييه وبغداد والكويت تعالوا اشتغلوا وكفاية . واحد صحفي مصري ضرب لي تليفون من الكويت يسألني هل يمكنه أن يحضر إلى مصر وألا يقبض عليه ؟ قلت له وهل أنا بواب مصر ؟ والا أنا وزير الداخلية ؟ طيب أنا قاعد أهه ، فإذا كنت مصر يا صحيحاً وتحس بالانتاء تعال مصر حتى لو قبضوا عليك . أنا رأيي أن الذين قعدوا في الداخل ناضلوا وكافحوا لكي يبنوا الطريق للسفن القادمة ، هؤلاء هم الذين أخذوا على عاتقهم مهمة النضال المستمر لتبقى الشعلة مضيئة ، أن لهم أن يستريحوا قليلاً أما الآخرون فقد آن لهم أن

يعودوا . أرجوكم وجهوا أنتم الهم الرسالة أو افرضوا النقد الذين يكتبون عنكم . أنا لا أعرف كيف أنقد . أنا أعرف كيف أقدم فقط . النقد ليس فهولة وليس انطباعاً . هناك علم اسمه النقد . ليس النقد تشجيعاً . نحن نخلط بين الأشياء وأرجو أن أقول هذا للمرة الأخيرة أنا كاتب مثلك تماماً ، يعني خالق ، وكما أنه ليس عملك أن تكتب عني فأنا ليس عملي أن أكتب عنك وإنما عمل الناقد أن يكتب عنا نحن الاثنين .

● سؤال من إحدى الحاضرات :

— ما قولك حول تأثير أدب سعيد سالم بأدب يوسف ادريس من خلال رواياته « جلامبو » و « بوابة مورو » و « عمالقة أكتوبر » ، هذا إذا كنت قد قرأت هذه الأعمال ؟

الدكتور يوسف ادريس :

أنا قرأت الأعمال الثلاثة وكنت سعيداً بها جداً لأنني فعلاً كلما عثرت بالصدفة أو بالبحث عن موهبة حقيقية أحس بالسعادة لأنني أساساً قارئ أحب الكتابات الحلوة التي تكفيني وتسطيني جداً وتغنيني عن أن أكتب ، وبصراحة الواحد مش عايز يكتب . بالعكس الأستاذ سعيد سالم أقل الكتاب تأثيراً بي ، هو متأثر بي في شيء واحد فقط وهو أنه ثوري مثلي يريد أن يغير وأن يكسر الدنيا ، إنما له استقلاله الفني وله طريقته الخاصة وله مدرسته في الكتابة ، وهذا ما يجعلني أحب أن أقرأ له دائماً وبشدة ، كما أحب أن أقرأ أيضاً محمود عوض عبدالعال ونعم تكللا وغيرهم لأن الحقيقة لا تحضرني الأسماء الآن ، فأنا لم أتم منذ ٧٢ ساعة لأنني قلت لنفسي قبل أن أسافر الاسكندرية يجب أن أكافيء نفسي بكتابة قصة قصيرة فسهرت طول الليل ولم أستطع النوم الا في القطار ولذلك فان مخي لا يستطيع استحضار اسماء أصدقائي كلهم والذين حضرت خصيصاً لأتعرّف عليهم لأن لكل منهم طريقته التي أستفيد أنا منها شخصياً ، وكما أن جو الاسكندرية البكر الذي يجعل الانسان يشعر أن الحياة بكر وطازجة وجديدة بأن يعيشها الانسان فأنا بالفعل أنتسم هذا الهواء النقي من خلال المدرسة الجديدة التي نشأت بالاسكندرية في السنوات

الأخيرة والتي جئت خصيصاً لأحبها وأعانقها وأتعرف على كتابها .

ثم قدم الدكتور يوسف ادر يس ضيف الندوة الدكتور ميلاد حنا الذي قال :

— ان سمات المصري تتميز بتعدد الانتماء فبالإضافة الى انتمائه الى خوفو ورمسيس وتحتمس هناك انتماءه العربي إذ بدون تواجدنا في هذه المنطقة وانتمائنا الى هذه المجموعة من الثقافة والحضارة يصبح انتماءنا جزئياً وهز يلاً ثم هناك انتماءنا الأفر يقي والاسلامي وأنا أشعر باستمرار حين أتجول بالاسكندرية بانتمائها الى مجموعة البحر المتوسط وكأنني في اليونان أو إيطاليا أو أسبانيا . فلا عجب أن تنزعج الاسكندرية الحركة الثقافية المعاصرة في مصر . الرئيس السادات كثر خيره حذفني الى السجن فجعل مني بطلا ووجدت نفسي أعمل بالسياسة رغم أنفي وأفكر في مشاكلنا التي تحوي ضمن ما تحوي مشاكلنا الثقافية والفكرية . لقد أصبح هناك تناقض بين ما يسمى بالديموقراطية الاجتماعية والديموقراطية السياسية . وأصبحت مصر تعاني من الشيزوفرينيا فبينما هناك مجموعة مثقفين يحبون الحرية والليبرالية و يعشقون الفكر بكافة ألوانه وصوره وفي ذات الوقت هناك مجموع كبير من الشعب بمجموعة مهمة تعاني من المسكن والملبس والمواصلات وتعاني من نقص الدواء وتموت صغيرة في السن وتعيش في فقر مدقع في حد أدنى غير مقبول . فإذا كنا على عتبة أمل جديد فهذا الأمل الجديد لن يوتي ثماره من تلقاء نفسه . الرجعية أقوى والوطنيون يتسمون بالأمل والسلبية والانتظار ولا تؤاخذوني أنا والدكتور يوسف ادر يس من جيل واحد ..

وأضاف الدكتور ميلاد :

— تشخيصي البسيط والمتواضع أن الفكرة المحورية هي فكرة الفرعون سواء كان الملك فؤاد أو الحديوي اسماعيل أو جمال عبدالناصر أو السادات أو حسني مبارك وأنا أرى أن مصر يجب أن تحكم بأبنائها وأن الفرعون يجب أن يكون خادماً لمصر وأن تتحدد اختصاصاته ، ونحن لسنا أقل من اليونان أو إيطاليا . عبدالناصر وضعنا في طريق مسدود وكان لابد أن يكسر في ٦٧ فكسرنا كلنا ثم وضعنا السادات في طريق مسدود انتهى بأن حبسنا ومات ، وهذه الطرق المسدودة هي نتيجة تركيز

السلطة في يد انسان واحد . المناخ الليبرالي هو الذي يسمح لكافة ألوان الأدب والفن التشكيلي وحركة المثقفين لكي تمتد .

● أحد الحاضرين مقاطعاً :

— اني أتهم الدكتور يوسف ادريس بأنه قد انسحب من المعركة ضد القوى التي يتهمها بافساد الحياة فبعد الفرافير والحرام وغيرها خفت صوته ولم يكمل اتجاهها كنا نريد له الاكتمال وهو التمسرح ، بل لجأ الى كتابة المقال وتحول الى ناقد منحرف عن هدفه الرئيسي .

الدكتور يوسف ادريس :

— أنا اعتبر هذه الشقة . سيدي يوسفني أن أقول أن اتهامك لي غير صحيح . هل قرأت مجموعتي القصصية الأخيرة « أنا سلطان قانون الوجود » ؟

— للأسف لم أقرأها ، أنت منشغل في الجريدة حول معركتك مع ثروت بأباطلة .

— آخر قصة كنت نشرتها في الأهرام ١٩٥٢ عن واحد وجد نفسه في الصباح بدون رأس . بالعكس أنا صوتي لم يخفت بل عمق ، وهناك فرق كبير بين أن يخفت الصوت وأن يعمق . العمق هو اكتشاف القوانين التي تغير الأشياء ، وقصة أنا سلطان الوجود تقول لماذا أكل الأسد محمد الحلوة ، لأن الأسد ملك الاحساس وليس ملك الغابة فلما شعر الأسد من نظرات محمد الحلوة أنه خائف هبشه من ذراعه على أمل أن ينتفض البطل محمد الحلوة لكنه ارتعب فأكمل الأسد عليه ومات الحلوة ومات الأسد بعد ذلك حزناً عليه . وهنا قانون من قوانين الوجود أن الذي تخاف منه يأكلك ، وبذلك يكون الحل أن تخيف لا أن تخاف ، وأن ترعب لأنك لو ارتعبت مت . هل تسمي هذا صوتاً خافتاً أم تسميه صوتاً عميقاً ؟ .. (تصفيق) .. وقصة ١٩٥٢ هي ١٩٥٢ اكتشف العقل الباطن أن محطوط فيها صفر ، لأن الانسان تحول في نهاية حكم السادات الى صفر ، وهذه بدعة من بدع الحكم الذي فات ، ان الانسان لا يوجد الا اذا مات ، يعني لازم يموت يوسف ادريس لكي يوجد كفننا وكمغير انما طول حياته فهو غير موجود . واليس هذه القصة ما يقول تُرعى قانون نفي الأحياء والاعتراف بالموتى ؟ .. كل يوم نحتفل بذكرى الكتاب

والشعراء والموسيقيين الموتى ، أما الأحياء فهم أموات دون أن يحس بهم أحد . هل تسمي هذا صوتا خافتا يا سيدي ؟

— ما زلت مصرا على اتهامي فيما يختص بالتمسرح ..

— سيدي القاضي (ضحك وتصفيق) حالة التمسرح هي تحويل الفرجة الى وسيلة اندماج للتغيير بحيث أن تشتبك الحقيقة بالتمسرح و يشتبك التمسرح بالحقيقة لمدة ساعتين أو ثلاث حتى لو أدى الأمر أن يصعد الجمهور الى المسرح ، وحتى لو أدى الأمر ألا تكون هناك مسرحية كأن تكون ندوة مثل هذه الندوة مثلا ، فنحن الآن في حالة تمسرح ولكنه ليس المسرح الذي يتفرج عليه ، فأنت الآن حاضرا للندوة كما تحضر للمسرح منفعلا ومتحمسا للدور الذي تقوم به الآن وهودور وكيل النيابة (ضحك) ، ومسألة انتقالي من القصة الى المقالة الى المفكرة الى الندوات التلفزيونية أو الى مثل هذه الندوة قد يفسرها النقاد فيما بعد .

(ثم تحدث الناقد محمود فوزي بجريدة المساء وأشار الى اهتمام صفحة الأدب بالمساء بانتاج الأدباء الشبان كما وعد بنشر القصة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة النادي للقصة القصيرة ونشرها بالفعل وهي قصة « معا أبدا » والتي كتبها نهلة السعدني) .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

و ينفذ الدكتور يوسف ادريس وعده بأن تكون الندوة ممتعة وغير تقليدية ، فبعد أن قدم الدكتور محمود القاضي والدكتور ميلاد حنا والناقد محمود فوزي فانه قال :
— ان الاسكندرية ليست فقط بلد الأدباء الشبان وانما ايضا بلد الكتاب الجذور ومن جذور حركتنا الادبية الحديثة الدكتور يوسف عز الدين عيسى (تصفيق) الرجل الذي طالما أسعدني بكتاباته وهو المسئول عن سعادي في الأسابيع القليلة الماضية التي قرأت فيها روايته « الرجل الذي باع رأسه » و « الواجهة » .. تفضل يا دكتور يوسف .

وجاء في كلمة الدكتور يوسف عز الدين عيسى :

— (أنا أرى أن الشقافة مهمة بوجه عام وتحتاج الى عناية خاصة . ان واجهة أي دولة في العالم هي ثقافتها ، وليس غريبا أن دولة مثل انجلترا تقول أنه من الممكن

أن نضحى بالهند — التي كانوا يسمونها درة التاج البريطاني — ولكننا لا يمكن أن نضحى بشيكسبير. الثقافة هي التي تشكل الفكر وهي الحركة له في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وقد رأينا أنه عندما اشترك المثقفون في الحرب انتصرنا والعكس. وأنا أدعولوجود فلسفة للحكم بأن يكون للحكم هدف معين يجب أن نصل اليه ودائماً أذكر اليابان بأنها دولة صممت على التحضر كهدف فتحضرت، وامنيتي أن يكون هدفنا أن نتحضر في كذا سنة كما تحضرت اليابان في ٣٣ سنة و يكون لهذا الهدف برنامج عام. واليابان ليست دولة أوروبية أو أمريكية، هي دولة آسيوية بسيطة، فلا داعي لمركب النقص الموجود عندنا بأن نقول أننا لسنا مثل أمريكا أو غيرها نحن لدينا حضارة نفخر بها من قبل أن تكتشف أمريكا، وحين كان الأوروبيون يلبسون جلود الحيوانات ويعيشون في الكهوف.

الثقافة هي الكتاب والناشر والمسرح والسينما والتلفزيون، ويجب أن نحسن استعمال هذه الأدوات وأن نرعى الكتاب فبتناولنا هوثقافتنا. مجلاتنا أصبحت هزيلة بينما أعظم المجالات الثقافية تصدر الآن من الدول البروتولية ومعظم كتابها من المصريين. مكتبة الاسكندرية أصبحت في حالة مؤسفة. يجب أن نعود الى العقل الى الحضارة بلا عقد نقص).

وعقب الدكتور يوسف ادر يس بقوله أن الثقافة لا تصنع الأمم وإنما يصنعها الانتاء، فالسبب في سرعة تقدم اليابان هو انتاء الشعب الى بلده الى شخصيته بعكس الحادث في مصر، فالذي نسمعه أن هناك انتاء لمصر وليس هناك شيء مجرد اسمه مصر هناك شيء اسمه الشعب المصري، ونحن قد تفتتت من شعب الى أفراد ولذلك كان من السهل على أي فرعون واحد أن يحكمنا جميعاً.. وأحب أن أحبيكم على صمودكم الشديد لهذه المناقشة الطويلة وأشكركم خالص الشكر.



وفي الساعة العاشرة — أي بعد أربع ساعات تماماً — انتهت الندوة والتف الجمهور حول الدكتور يوسف ادر يس يحيونه و يودعونه بحب وحرارة.

البحث عن الحب القاسي

(١)

يحدث احيانا ان اترك ظلي

في الاقبيّة الرطبه

يحدث أن اترك في لحظات الخوف

عيوني

يحدث ان اترك نفسي

تناكل في غرف الرغبه

يحدث ان اترك في المرأة

حنيني

يحدث ان لأملك حتى الصوت

حين احاول ان اكتشف الموت

(٢)

أبحث في عام الموت

عن الاطفال

عن جثث الرعب السوداء



أبحث عن لون الدم
ورائحة الغرباء
أبحث كل مساء
عن غضب الليل ووجع الليل
عن طعم الارض الضائع
في مقبرة الاضواء

(٣)

كان البحث طريقي نحو الحب
كان الحب طريقي نحو الغد
أنتم يا أطفال العالم
يا أبناء المستقبل
كونوا أكثر متا قوه

كونوا أكثر متا عملا
صدقا ، واخوه
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakimil.com>

كونوا أكبر منا صوتا ومحبه
نحن غرقنا في الطوفان
وأكلنا من مائدة الزمن الاسود
نحن شربنا الزيف بأعيننا
نحن شربنا الظلم بأعيننا
كم حاولنا ان نقتل هذي الأشياء
لكن عيشا ما حاولنا ...
كنا نفتقر الجرأة في الحب
كنا لانملك ان نتبادل هذا الحب
فستقطنا .



الإنسان والكون :

ان تفكير الإنسان بأصل الكون قديم قدم الإنسان نفسه . ويعتقد علماء الانثروبولوجيا ان الإنسان صار كائناً مفكراً قبل حوالي مليون سنة تقريباً . اذ دخل في هذه الفترة العصور الحجرية وتعلم اثناءها اللغة وأخذ يفكر تدريجياً بالاشياء المحيطة به وبالكون الفسيح . ولكن تلك الأفكار لم تصلنا وكل ما يعرفه العلم عن تلك الفترة هي تخمينات مستنتجة من دراسة عادات واديان الشعوب البدائية التي تعيش في بعض بقاع العالم اليوم . أما أفكار الإنسان في عصر الحضارات الأولى فلقد وصلنا منها ما فيه الكفاية بفضل

دراسات علماء التاريخ والأركيولوجيا وخاصة بعد ان اخترع الإنسان الكتابة ودون أفكاره . فكانت معظمها ميثولوجية (خرافية) نسب الإنسان في ذلك العصر عملية خلق الكون وتسييره إلى عدد من الآلهة وأُضفى على هذه الآلهة أخلاقاً وعادات بشرية من حب وكرهية وعقاب ومكافأة ... الخ . هكذا كانت حال الميثولوجيا البابلية والفرعونية وكذلك اليونانية الى أن جاء عصر الاديان الموحدة فعزت عملية خلق الكون وتسييره إلى خالق واحد غير مادي خارج عن الزمان والمكان . لا يمكن رؤيته بل استنتاج وجوده من العالم الذي نعيش فيه .

عصر النهضة وولادة العلم الحديث :

لقد تبنت الكنيسة في أوروبا منذ نشأتها أفكار بطليموس الفلكية وفلسفة ارسطو . ولم تجد في كل هذا ما يتعارض مع تعاليمها . وفي العصور الوسطى زاد نفوذ هذه الأفكار حيث طغت على جميع العلوم والفلسفات السكولاستيكية لتلك الفترة الى أن حدثت تغيرات جذرية في أوروبا أهمها هو اتصال أوروبا بالحضارة العربية وإطلاعها على تفكيرها العلمي فجاء عصر النهضة وجاء معه العالم الفلكي البولندي كوبرنيكوس (١٤٧٣ — ١٥٣٤) فاكشف النظام الشمسي . ولم يُنشر كتابه حول هذا الموضوع إلا بعد وفاته .

وعندما جاء غاليلو (١٥٦٤ — ١٦٤٢) مؤسس قواعد البحث العلمي ، نشر ورؤج أفكار كوبرنيكوس حول النظام الشمسي القائلة بأن الشمس وليست الأرض هي المركز الذي تدور حوله الكواكب السيارة ، وان الأرض هي إحدى هذه الكواكب . وأكد غاليلو صحة النظام الشمسي بعد أن استعمل التلسكوب لأول مرة في التاريخ في دراسة النجوم والكواكب مما جلب عليه نعمة الكنيسة التي كانت تؤمن بأفكار ارسطو الفلسفية وبنظام بطليموس الفلكي القائل بتمركز الكون كله حول الأرض ودوران الكواكب والنجوم والشمس حولها . لذا أجرت الكنيسة محاكمة لغاليلو واتهمته بالزندقة وسجنته في آخر أيام حياته . ومن عصر النهضة إلى يومنا هذا تطورت العلوم

كلها تطوراً تدريجياً ومعها علم الفلك . فتوالت الاكتشافات الفلكية الواحدة تلو الأخرى ، وكان لعلم الفيزياء تأثير كبير على علم الفلك وتقدمه وخاصة بعد أن ارسى العالم البريطاني الكبير نيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٧) قواعد الفيزياء الكلاسيكية ونشر قوانينها الثلاثة في الحركة والجاذبية المسماة باسمه . ففي قانون الجذب العام نسب نيوتن للجاذبية سبب وجود النظام الشمسي فهكذا اعطى تفسيراً مقبولاً من الناحية العلمية للظاهرة التي اكتشفها كوبرنيكوس . وفي سنة ١٧٥٠ اكتشف العالم البريطاني توماس رايت بان الشمس ماهي إلا نجم من النجوم التي تكوّن جميعها جزيرة معزولة في هذا الكون الذي تنتمي اليه شمسنا وسمى هذه الجزيرة بالسديم وفي سنة ١٧٥٥ طور الفيلسوف الالماني كانت أفكار العالم البريطاني رايت ووضع نظرية في أصل الكون ونشؤه والتي ترى أن الكون لامنتهي وفيه يسبح عدد لامنتهي من هذه الجزر وكل واحدة منها تحوي على عدد كبير جداً من النجوم . ولقد حصلت نظرية كانت هذه على شعبية كبيرة رغم صياغتها من قبل فيلسوف حيث كان علم نشوء الكون (الكوزموجوني) لايزال من اهتمام الفلاسفة . ولكن اكتشافات العالم الفلكي البريطاني هيرشل (١٧٣٨ — ١٨٢٢) وجهت انتظار علماء الفلك اللاحقين إلى صياغة نظريات كوزموجونية أكثر علمية ومبنية على أساس من الملاحظات والتجارب الفلكية .

نظريات اينشتين النسبية والكون :

ان الثورة الحقيقية في نظريات علم الفلك ونشوء الكون بدأت بعد تطور علم الرياضيات في نهاية القرن التاسع عشر وخاصة بعد أن نشر عالم الرياضيات الالماني ريمان نظريته في الهندسة اللاقليدية والتي سميت ايضاً بهندسة ريمان والتي تستند على الفرضية القائلة بأن الفضاء المحيط بنا هو لا اقليدي أي أنه لايمكن أن نمذ فيه خطاً مستقيماً . لأن الفراغ نفسه منحني والخط الذي نمده يأخذ شكلاً منحنياً ولا يأخذ شكل خط مستقيم . لذا فإن مجموع زوايا المثلث المرسوم في هذا الفراغ لايساوي ١٨٠ درجة .

وفي سنة ١٩١٧ نشر العالم الالماني اينشتين نظريته النسبية العامة واعطى دليلاً نظرياً على صحة آراء ريمان الهندسية . حيث أن النظرية النسبية العامة تقترح أن تقوس الفراغ ناتج من كتل النجوم والسدم والمجرات الموجودة في الفضاء . ولقد تبين فيما بعد أن النماذج والتصورات الكوزموجونية المبنية على أسس النظرية النسبية هي أكثر النماذج رواجاً وعلمية . وبالتأكيد ليست نماذج نهائية ومطلقة . فلا يزال هناك كثير من العلماء في العالم ينظرون إلى النماذج الكوزموجونية الانشتانية رغم اعتمادها على رياضيات متطورة فهي لا تزال تحتوي على نوع من المبالغة ان لم نقل الاسطورة ومنهم العالم البريطاني دجبل والعالم السويدي آلفين والعالم البلغاري مارينوف ... الخ .

النظريات الحديثة :

في سنة ١٩٣٧ ادخل العالمي الالماني فايتسكر نظرية الكم الفيزيائية لدراسة تصرف النجوم حيث بين أن الضوء الذي تشعه النجوم هو ليس نتيجة تفاعلات كيميائية داخل النجوم بل نتيجة تفاعلات نووية خاصة كما وضع فايتسكر طبيعة الدورة التي يمر بها عنصر الهيدروجين أثناء تحوله التدريجي الى هيليوم واشعاعه للضوء .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وبدراسة الضوء الصادر من النجوم وتحليل طيفه تمكن علماء الفلك من معرفة العناصر الكيميائية ونسبها في عدد كبير من النجوم وبالتالي من معرفة اعمار هذه النجوم وتاريخ ولادتها وتقدير عمرها المستقبلي والتغيرات التي يمكن أن تطرأ عليها في المستقبل . كما أن تحليل طيف النجوم والسدم بين خاصية فيزيائية مهمة وطريفة جداً تسمى بحيود الضوء الأحمر وهي تدل على حركة المجرات وابتعادها عنا . وبالفعل ظهر للعلماء أثناء دراستهم حيود الضوء الأحمر بأن المجرات الموجودة في الكون تتحرك بشكل منظم بحيث أن المجرة الموجودة بالقرب من مجرتنا تتحرك مبتعدة عنا بسرعة معينة ، وأن المجرة التي تليها تبعد عن التي قبلها بسرعة أكثر وهكذا دواليك . فإذا الكون في حركة وتوسع مستمر . ونتيجة لهذه الظاهرة وجد العلماء بأن سرعة ابتعد مجرة عن

أرضنا تقترب من سرعة الضوء ولهذا السبب لم يصلنا ضوءها مهما حاول العلم من تطوير التلسكوب. ولقد اطلق العلماء على آخر مجرة يمكن رؤيتها بواسطة التلسكوب «حدود كوننا الممكن مشاهدته» وبعبارة أخرى ان الآلات التكنولوجية لا تمكنا من النظر أبعد من منطقة محدودة في الكون والسبب يمكن في طبيعة الكون نفسه وليس لقصور في تكنولوجيا التلسكوبات. واستناداً على النظريات والاكتشافات الفلكية والفيزيائية في القرن العشرين وخاصة النظرية النسبية ونظرية الكم الذرية واستناداً على نظرية ريمان في الهندسة اللاقليدية ظهرت نظريتان كوزموجنيتان متضاربتان تبحثان في أصل الكون ونشوئه وهما :

(١) نظرية جاموف (النظرية التطورية) :

تعتبر هذه النظرية أولى النظريات الكونية الحديثة ولقد وضعها العالم البلجيكي ديستر ولكن طورها العالم الأمريكي ذو الأصل الروسي جاموف حيث نشر سنة ١٩٤٧ نموذجاً بين فيه أصل الكون وتركيبه مع تخمين مستقبلي وسمى نظريته هذه بالنظرية التطورية مسبقاً على الكون صفة التطورية كما فعل قبله دارون في القرن التاسع عشر بالنسبة للبيولوجيا. ونظرية جاموف هذه تنطلق من الملاحظات الفلكية التي أقرها العالم الأمريكي هابل سنة ١٩٢٩ وهي أن الكون يتسع واتساعه هذا خاضع لقانون معين، كما ذكر سابقاً. وقد فكر جاموف بأنه إذا ما كانت أجزاء الكون تبعد الان الواحدة بسرعة معينة وبشكل مستمر ومنظم فهذا معناه في الماضي كانت هذه الأجزاء قريبة من بعضها وبالتالي فإن هناك زمناً معيناً في الماضي كانت فيه كل المادة مجتمعة في مكان واحد وسمى جاموف هذا التجمع بالبيضة الكونية، واعتقد بأنها كانت متكونة من النيوترونات فقط وانها كانت تحت ضغط وحرارة عاليتين جداً. ونتيجة الحرارة العالية حدث انفجار مع تفاعلات نووية .. وحسب رأي جاموف استمر هذا الانفجار نصف ساعة وتكون أثناءها جميع عناصر الجدول الدوري ووضع جاموف ٢٤٠ معادلة رياضية لحساب تكوين هذه العناصر ونسبها ثم أعطى هذه المعادلات الى فتيات

اخصائيات بالحاسبة ووضع تحت تصرفهن حاسبات كهربائية (لقد استخدم فيما بعد العقل الالكتروني لحل هذه المعادلات). فوجد جاموف أن نسب العناصر التي تكونت في النصف ساعة الأولى من عمر الكون هي تقريباً نفس النسب الموجودة الآن فعلياً في الكون حيث أن عنصر الهيدروجين يكون ٩٠٪ من مادة الكون وعنصر الهيليوم ٩٪ أما العناصر الأخرى فتكون جميعها ١٪ من مادة الكون وتقل نسبتها كلما ارتفعنا في الجدول الدوري.

ان حسابات جاموف تفسر لحد كبير لماذا نسب العناصر الموجودة حالياً في الكون هي على الشكل الذي عليه الآن. ثم يستطرد جاموف ويقول ان بعد هذا الانفجار العظيم اتسع الكون وتناثرت اجزائه بسرعة مختلفة مكونة السدم والمجرات والنجوم التي نراها الآن ومن حسابات أبعاد المجرات وسرعها الحالية، استطاع جاموف تحديد عمر الكون المنظور وقدره بعشرة بلايين سنة تقريباً، معتبراً لحظة انفجاره ساعة الصفر. وتجدر الإشارة ان هذا الزمن يتفق الى حد كبير مع عمر الارض والشمس والنجوم التي قيست اعمارها بوسائل علمية أخرى. ويرى جاموف أن الكون قبل الانفجار كان موجوداً أيضاً وأن كتلته وحجمه قبل الانفجار مدة طويلة كانت قريبة إلى الصفر، ثم بدأ الكون بالتقلص تدريجياً إلى أن اتخذ شكل البيضة الكونية، ثم انفجر ثانية قبل ١٠ بلايين من السنين وانه الآن في حالة اتساع مستمر وسوف يبقى هذا الوضع إلى أن تصبح كثافة الكون قريبة من الصفر فيعود ويتقلص ثانية مكوناً البيضة مرة أخرى وهكذا دواليك فإن الكون في تقلص وانسباط مستمر. وهذه الطريقة تخلص جاموف من فكرة لانهاية الزمان والمكان التي لاتزال تشغل الإنسان.

(٢) نظرية هويل (الخلق المستمر):

لقد أسس هذه النظرية الثانية هويل استاذ علم الفلك في جامعة كامبردج في بريطانيا ونشرها سنة ١٩٥٢. حيث يقول انه بموجب نظرية الانفجار العظيم واتساع الكون فإن جميع المجرات سوف تختفي خلف حدود

الكون المنظور وتبقى مجرتنا معزولة وحيدة في الكون. فاقترح هويل ولادة سدم ومجرات جديدة تحل محل المجرات التي تختفي وهكذا يبقى الكون على طول الزمن مثلما هو لا يتغير. ولهذا سميت هذه النظرية «الخلق المستمر» أو نظرية «ثبوت الكون». ولكن هذه النظرية ضعيفة من الناحية العلمية لأنها تخرق قانوناً أساسياً من قوانين الفيزياء وهو قانون بقاء الطاقة والكتلة حيث ترى هذه النظرية ان المجرات والسدم يمكن أن تخلق العدم الموجود في الفضاء؟! الذي بإمكانه أن يخلق كل سنة ذرة واحدة من الهيدروجين داخل بليون لتر من الفراغ. وإن يظهر هذا الرقم صغيراً بالنسبة لنا لكنه بالنسبة للكون يكفي أن يولد عدداً هائلاً من المجرات. ولقد رأى هويل وزملاؤه أن سبب توسع الكون ليس هو ذلك الانفجار الكبير ولكن سببه هو كبر شحنة البروتون بالنسبة لشحنة الإلكترون بمقدار ضئيل جداً، لا يمكن قياسه بآلاتنا الحالية، وإن هذا الفرق لو أخطأ بالنسبة إلى الكون العظيم فإنه يولد فرقاً هائلاً يلعب دوراً أساسياً في دفع المجرات عن بعضها. وترى هذه النظرية أن الكون في المستقبل سوف يبقى دائماً مثلما هو عليه الآن. فبالنسبة لها أن الكون أزلي، ماضيه يشبه حاضره ومستقبله. إن هذه النظرية تتفق مع حقيقة تكون العناصر الثقيلة باستمرار داخل النجوم الحمراء العملاقة. كما أنها توضح نسبياً إحدى نقاط الضعف الموجودة في نظرية جاموف وهي تكون العناصر الثقيلة المشعة كالتيكنيتيوم. فالمعروف أن عمر هذا العنصر حوالي ٢٠٠٠ سنة وهذا معناه أنه لو ولد في بداية الكون لكان أثره قد اختفى اليوم. ولكن العلماء وجدوا طيفه في بعض النجوم. وهذا دلالة على استمرارية ولادته. وفكرة تكون النجوم باستمرار تؤيد نظرية هويل. ولكنها لا تؤكد صحتها المطلقة، فهذه النظرية تحتاج إلى أدلة وبراهين علمية. فهي لا تخرج عن أن تكون نموذجاً علمياً جليلاً شأنها بقية النماذج.

لا ينكر أن نظرية هويل حصلت على شعبية كبيرة نظراً لما تحويه من آراء غريبة في إزلية الكون قد تروق للجمهور الذي يرغب أن يرى نفسه وكونه أزلياً. هذا من جهة ومن جهة أخرى تعود شعبية نظرية الخلق المستمر

الى كتب هويل المبسطة والى ظهوره على شاشة تلفزيون لندن لمدة طويلة؛ هذا مع العلم بأن جاموف كان كاتباً شعبياً كبيراً ايضاً. ولم ير تأريخ العلم نقاشاً بين الناس الاعتياديين من مؤيدي ومعارضى نظريات علمية كما حدث في الخمسينات من عصرنا هذا. فيا ترى أين تكن حقيقة نشوء الكون؟
مستقبل نظريات نشوء الكون:

يبدو أن الكون كأنه كتاب مفتوح يطالع فيه الإنسان منذ نشأته الأولى الى يومنا هذا. ولكن منذ عصر النهضة اتخذ تفكيره طابعاً خاصاً حيث وجد أن حرية تفكيره التي تمتع بها عبر العصور كانت في الحقيقة مقيدة وستبقى الى الابد هكذا. فكأن التفكير ليكون حرّاً عليه التأطر. فالإنسان يسعى للتقيد ليكون حرّاً، والا كانت الحرية معادلة للفوضوية.

ونجد اليوم أن مفهوم الحرية قد تأطر وقيد بأساليب المناهج العلمية الحديثة بالضبط كما قيدت الحرية في عصور العبودية الغابرة بالميثولوجيا معبرة عن التطور الذي حدث في حواس ومشاعر الانسان، أو في عصور الاقطاع بالميثولوجيا معبرة عن تطور منطقته وقابلياته الحوارية. والظاهر ان الانسان الحديث لا يهتم اذا كانت النظرية لا تمكن بالضبط حقيقة الشيء المجهول وخاصة بعد أن عرف أن العلم نسبي وقابل للتطور والتغير، بقدر ما يهتم علمية التركيب الداخلي للنظرية. ان ما يهتم هو الملاحظة الدقيقة، التجارب المبنية على أسس منطقية، المنطق التحليلي — التركيبي النظري، اساليب النقد والمناقشة، الحسابات والمعادلات والارقام .. الخ.

ان ما يهتم الإنسان الحديث هو نوعية المنهج. أو بعبارة أخرى ان معرفة طبيعة الكون بالنسبة له لا تقل أهمية عن الطريقة التي يسلكها التفكير، لأن أسلوب الوصول للحقيقة مهم بالنسبة للانسانية بقدر الحقيقة نفسها. ففي الاسلوب يكمن المنهج والطريقة ويكمن ايضاً المستوى الحضاري والاخلاقي. ولقد صدق من قال ان الانسان هو الاسلوب، فالاسلوب لا يعكس منطق الانسان وجوهره فحسب بل نوع الحضارة ودرجة رقيها ايضاً.

رسالة برلين الغربية

من عبد الحكيم قاسم



<http://Archivebeta.Sakhril.com> مقدمة:

منذ مدة تتوقع برلين زيارة المفكر العربي الدكتور صادق جلال العظم. لقد دفعني هذا إلى أن أسأل نفسي عن هؤلاء الذين يهتمون بأن يقيموا معنا حواراً. وعليه فقد فكرت في أن أدبر مقابلتين مع الرجلين المهتمين بدعوة العظم إلى برلين. هذان الرجلان هما الأستاذ الدكتور فريتس شتبت والقس وينفرد مشلر. الأول عميد معهد الدراسات الإسلامية في برلين والثاني من قادة الأكاديمية الايفانجيلية.

ولقد عمدت إلى أن أترك الرجلين يقولان ما يريدان.

لم أخرج أباً منها بسؤال يتخرج من الإجابة عليه . ولم أحذف من كلامه جملة نتخرج من سماعها . وبذلك فإن كل ما قاله أراد أن يقوله ، وللقارئ العربي بالذات . وما سكنا عنه لم أحاول أن استخرجه بالقياس والمقابلة .

وتربطني بالرجلين علاقة شخصية حميمة . مشر دعاني إلى برلين للمشاركة في ندوة عن مصر . ثم ساعدني بعد ذلك مساعدات قيمة ومخلصة للتغلب على صعوبة الأيام الأولى من إقامتي في المدينة . شئت قبلني في معهده ويسر لي سبيل الدراسة وساعدني للحصول على منحة دراسية ويشرف الآن على رسالتي للدكتوراه .

لكننا بقيت بعد كل ذلك رجالاً مختلفين خلف كل واحد تجاربه وأيام تاريخه ، وفي كل قلب همومه ولكل أحلامه . وإذا بقينا هكذا فإن الفائدة أتم ، لأنه ليس أضر على الرجل من أن يحاول أن يخلق الناس حوله على صورته .

وهذا ما أردته للقارئ . أن يرى هذين الرجلين كما هما . وهما ليسا نجمين من نجوم السياسة أو الاقتصاد في المجتمع الألماني . لكنها معلمان لما تأثيرهما على صوغ عقول الناس المحيطين بهما .

وهما بعد كل ذلك مهتمان بأن يسمعانا وتلك في رأيي قيمة جديرة بالانتباه وألا تؤخذ مأخذ المسلمات .



• الأستاذ الدكتور فريش شتيت

الأستاذ الدكتور فريش شتيت

١٩٥٢» وهذا نال درجة

الاستاذية .

• عمل مديراً للمعهد الألماني للأبحاث الشرقية التابع لجمعية المستشرقين الألمان في بيروت من عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨ .

• الآن استاذ الدراسات الاسلامية ومدير معهدهما في جامعة برلين الحرة في برلين الغربية .

• آخر زيارته للعالم العربي كانت في مارس عام ١٩٨١ في الكويت حيث دعى إلى ندوة الابداع الفكري الذاتي في العالم العربي التي نظمتها جامعة الأمم المتحدة وجامعة الكويت .

• ولد عام ١٩٢٣ .

• حصل على الدكتوراه في العلوم الاسلامية عام ١٩٥٤ وكان موضوع رسالته « القومية والاسلام لدى مصطفى كامل » .

• عمل عميداً لمعهد جوته بالقاهرة في الفترة من ١٩٥٥ حتى ١٩٥٩ .

• في ذات الوقت كلف بالتفتيش على تدريس اللغة الالمانية في المدارس المصرية من قبل وزارة التربية والتعليم .

• اثناء اقامته في القاهرة أتم بحثه عن « التقليدية والعصرنة في نظام التعليم المصري الحديث حتى عام

المحرر: كيف اتفق أنك اخترت الانشغال بالشرق؟

شبتت : إذا كان لي أن أعبر عن ذلك بالكلمات التي نحلها اليوم ، فأنني إذن أقول إن أساس اهتمامي بالعالم العربي والعالم الإسلامي هو جهدي أن اتصدى للشعبية الأوروبية (١) وأن أنأى بنفسى عنها . كان هذا هو السبب الذي حفزني كشاب إلى أن اتعلم اللغة العربية لتكون طريقي للتعرف على تاريخ وثقافة الشعوب المسلمة .

وكان من الممكن أن اختار الثقافة الهندية أو اليابانية أو الصينية . لكن العالم العربي الشاسع هو ذلك العالم الذي يجاور العالم الأوربي مباشرة . والصلة بين العالمين كانت دائما ذات أهمية بالغة بالنسبة لكل منهما .

المحرر: أليس ملفنا للنظر انك اهتمت بالتصدي للشعبية الأوروبية تحت نظام هتلري يؤمن بتفوق الجنس الآري؟

شبتت : أرى ذلك بالعكس طبيعيا كنوع من الميل الغريزي لدى الشباب للتمرد على ما هو شائع . كان النظام الهتلري يدعو إلى فكرة تعتبر الألمان سادة الدنيا . إن ترديد هذا الادعاء قد يدفع شاباً إلى أن يحاول أن يرى كيف يبدو العالم من وجهة نظر ثقافة أخرى .

المحرر: لم يكن هذا بالقطع مسلكتاً سائداً؟

شبتت : لم يكن ثمة ما يحرضني على التمرد على والدي ، فلم يبق لي سوى أن أتمرد على الأفكار السائدة .

المحرر: إن عملك هو جزء من الاستشراق . هل هو نقد له أم تجديد أم توسيع وإثراء؟

شبتت : أريد أولاً أن أجنب استخدام كلمة الاستشراق (Orientalismus) ومقابلتها الانجليزية (orientalism) إنها تختلف عما هو مألوف (orientalistik) ومعروف بالدراسات الشرقية . الاستشراق موقف سياسي ينطلق من تفريق حاسم بين الشرق والغرب . هذا التفريق هو الذي وجه له إدوارد سعيد وحقى مر النقد . الدراسات الشرقية هي اهتمام علمي بالشرق

ينشغل به علم أو عدة علوم .

إنني بلاشك وبكل تأكيد أقف موقفاً نقدياً من الدراسات الشرقية . لكن هذا لايعني خروجاً مطلقاً على كل تقاليدھا . كان ثمة دائماً تقاليد جيدة ينبغي أن تدفع للأمام وتقاليد أخرى يجب أن توضع على محك النقد .

إلى جانب ذلك ينبغي دائماً البحث عن أساليب ومناهج بحث جديدة . ومجرد البحث عن الجديد ينطوي على موقف نقدي من القديم ، لكن لايعني الخروج عليه كلية .

المحرر: أي نقد للدراسات الشرقية تعتبره مبرراً ، وأي نقائص يمكنها التغلب عليها وأي امكانيات يمكنها في تطويرها اكتسابها ؟
شئت : هذه أسئلة عديدة في سؤال واحد يشمل منطقة شاسعة . وفي حديث قصير كهذا لايمكنني سوى ذكر نواح متفرقة من الموضوع .

إذا كان لي أن أبدأ بالنواحي الإيجابية فلأذكر أن أهم واجبات الدراسات الشرقية التصدي للمشاعر والميول الشعبية لدى كل شعب وفي كل ثقافة حتى يكون ممكناً لكل مهتم أن يكون صورة صحيحة بقدر الامكان عن عالم آخر بعيد عنه . وحتى يدرك كل مهتم أن الخلاف بين عالمه وعالم آخر بعيد عنه ليس شيئاً طبيعياً وأبدياً ، بل هو محصلة طريق نمو آخر وتاريخ تطور آخر . فإذا كان اختلاف كان فوراً التصور العلمي غير العاطفي أو المتعصب لجذور الاختلاف ومداره ومده .

وإذا كان لي أن أشير إلى خطرين يتهددان الدراسات الشرقية فأنني احدهما في نقطتين :

الأولى : أن يغرق الباحث في التفاصيل الصغيرة ويصرف فيها جهده . مثل مشكلة لغة دارجة أو تحقيق مخطوط أو غير ذلك ثم يعتبر عمله أول العلم وآخره . لا أريد أن أقول أن هذه الأبحاث غير هامة .. بل إنها قد تكون ذات أهمية بالغة . لكن ذلك حينما تكون في إطار شامل من تصور عام . في غير هذه الحالات يكون الغرق في التفاصيل خطأ حدث في الماضي ولازال

يحدث ويكون ضرره أن يضلل الفكر عن الاطار الشامل .

الثانية : ناتجة من خصيصة هامة للدراسات الشرقية هي كونها عبارة عن علوم عديدة مترابطة . فهي علم باللغات والتاريخ والمجتمع والدين والأدب وبالسياسة . كيف يتسنى لواحد أن يحيط بكل هذه العلوم . إننا لو سلمنا له بذلك لكان معناه اننا نسلم بحق الفتوى لكل من حسنت نيته . وإذا لم نفعل فاننا سننتهي إلى أن الدراسات الشرقية لغو لا غناء فيه .

وهذا اتجاه موجود . وفي أمريكا لا توجد دراسات شرقية بالمعنى المحيط إلا إذا تعلق الأمر بالشرق القديم . لكنه يوجد علماء اجتماع وسياسة وغير ذلك يشغلون أنفسهم بالسياسة والاجتماع وغيرهما في بلدان الشرق . لكنني أرى أن انقسام العلم بالشرق بين عدة علوم يفقدنا النظرة الشاملة إلى موضوعنا وتلك خسارة .

بالنسبة لي يحتل علم التاريخ مركز الصدارة بين العلوم الأخرى التي تهتم بالشرق . العلم بالشرق هو العلم بتاريخه وأنا اعتر نفسي مؤرخا . ومن ينشغل بالتأريخ ينبغي أن يكون متمكناً من كل العلوم التي تعينه على الاحاطة بتاريخ شعوب الشرق ونقل رؤية شاملة له . ومعنى هذا أن البحث الموسع في علم من العلوم لا ينبغي أن يصرف الباحث عن النظر في نتائج الأبحاث الأخرى في العلوم الأخرى . ذلك يوسع مجال رؤية بحثه . إن حياة الناس ذات أوجه كثيرة ووجه واحد منها لا يعبر عن حقيقة الناس . وحقيقة الناس تبدو إذا كانت جوانب الصورة كلها ظاهرة .

المحرر: هل تتأثر الدراسات الشرقية بالتوسعية الأوروبية أم العكس أم أنه ثمة احتمال ثالث ؟

شبتت : لاشك ان الامبريالية كانت محركا من محركات الدراسات الشرقية . وعلينا أن نعترف بحقيقة أن الباحث يمكنه أن ينشغل بثقافة شعب ما إذا كان لديه أمان يعينه على أن يعمل دون معوق . أريد أن أقول إن شعباً تقهره الامبريالية لا يمكنه أن يهيئ لنفسه الجو لكي يراقب بموضوعية تاريخ

وثقافة الشعب القاهر. إنه ليوفر للعالم إمكانية البحث في ثقافة شعوب أخرى أن يكون منتسباً لشعب هو السائد في العلاقة بين هذه الشعوب. هنا طبعاً يمكن خطر وقوعه فريسة الميول الشعبوية لدى قومه.

المحرر: إذا كان العالم في الشعب المقهور غير موضوعي بسبب قهره وفي الشعب القاهر بسبب شعوبيته، ألا يعني هذا عراء الدراسات الشرقية من كل موضوعية؟

شتبت: الموضوعية المطلقة غير موجودة في العلوم النظرية. العنصر الشخصي دائماً هناك. هذه حقيقة لا ينبغي للباحث أن ينساها، بل يعاود النظر في أحكامه نظراً انتقادياً يحدوه جهد مخلص لنشدها الموضوعية. إن هذا يقلل قدر الوسع من الأخطاء التي قد تعزى إلى الموقف الشخصي.

المحرر: وقبل العصر الامبريالي كان ثمة دراسات شرقية في أوروبا.

شتبت: كانت الكنيسة المسيحية هي المحرك وراء الدراسات الشرقية: بل وكل النشاط العلمي في ذلك الوقت كان واقعاً تحت نفوذ الكنيسة. ثم بدأ العلم تدريجياً يحز نفسه من هذا النفوذ، وكذلك حاولت الدراسات الشرقية أيضاً ألا يكون هدفها مجرد خدمة الكنيسة وتحقيق أهدافها، بل توسيع آفاق العلم ونشره. كانت هذه التقاليد الطيبة موجودة قبل الامبريالية. وقد امتد وجودها إلى العصر الامبريالي وإلى العصر الحالي. وعليه فانه في البلاد الاستعمارية وجدت انجازات علمية عظيمة.

المحرر: وفي عصرنا الحالي؟

شتبت: لاشك في انه مازالت اتجاهات محافظة توجد في حقل الدراسات الشرقية، ربما كرد فعل للاتجاهات الطيبة. لكنه بشكل عام وكاتجاه شامل تسود روح واعية متقدمة.

المحرر: كيف تقيم نمو وتطور الدراسات الشرقية في البلاد المختلفة وفي عصور مختلفة وتحت مواقف عقائدية مختلفة؟

شتبت: لاشك انه توجد فروق بين الدراسات الإسلامية في بلادها مستعمرات فيها شعوب مسلمة وبين هذه الدراسات في بلاد أخرى مثل ألمانيا التي تنازلت عن مستعمراتها بعد الحرب العالمية الأولى وذلك من جهتين:

● الباحث في الدول المستعمرة كان عليه أن يبذل جهداً كبيراً حتى لا يكون أداة لسياسة بلده الاستعمارية.

● الباحث في البلاد المستعمرة كانت لديه امكانيات كثيرة للبحث في ثقافة شعوب مستعمراتهم حيث انه في المستعمرات مدعوم وجوده مادياً ومالياً.

المحرر: وما هو تقديرك للدراسات الشرقية الماركسية؟

شتبت: موقفني من الدراسات الشرقية الماركسية هو موقفني من الماركسية ذاتها. لاشك ان هذه النظرية قدمت انجازاً علمياً كبيراً يتلخص في كونها تعطي أهمية كبرى للعوامل الاقتصادية وتأثيرها على حياة الشعوب وتطورها. لكنني لأمضي مع الماركسية حتى آخر المشوار ولا أتصور دور العوامل الاقتصادية حاسماً ولا وحيداً. إلى جانب ذلك انتقد الجمود العقائدي لدى الباحث الماركسي. لكنني اسجل أن علماء ماركسيين تجرؤوا من هذا الجمود وقدموا أعمالاً ممتازة في حقل الدراسات الشرقية.

المحرر: انك تكن تقديراً عظيماً لصادق جلال العظم وهو ماركسي..

شتبت: انه وجد في الماركسية عدة تعينه على أن يمارس النقد الذاتي في الفكر العربي. هذه مهمة صعبة لكنه يقوم بها بشجاعة. وعلى ذلك فنحن بازاء عالم عربي يمارس النقد على الفكر الديني وعلى أيديولوجية منظمة التحرير الفلسطينية وعلى النقد الموجه للدراسات الشرقية. انه حتى وإن لم يقل الكلمة الأخيرة في نقده الذي يوجه لكل أساسيات المجتمع تقريباً، إلا أنه يقول كلمته بقوة وصراحة تجعلني اخلع قبعتي احتراماً لجهده الكبير.

المحرر: هل أثر تسير المواصلات بين الأجزاء المختلفة من العالم على تطور الدراسات الشرقية؟

شتبت : قلت الفروق بينها إلى حد كبير واتسع التعاون بين الباحثين رغم الفروق العقائدية والبعد الجغرافي والانتهاآت السياسية . ربما يكون هذا التعاون أقل مما نتمنى لكنه في طريقه للتحسن والاتساع .

المحرر: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا .. كيف ترى هذا القول؟

شتبت : هذا قول الانجليزي كيلنج . وهو في حد ذاته صياغة بليغة موجزة للمفهوم الشعبي الذي يجافي تصوراتي كلية . إنني أضع في مقابل هذه المقولة أبياتا من شعر جوته :

الشرق لله والغرب لله ،

والشمال والجنوب يسكنان آمنين في يد الله .

قال جوته هذا مستلهما القرآن . والفروق بين الشرق والغرب تكن في اختلاف مسار التطور التاريخي بينها .

المحرر: هل تصلح مناهج البحث التي يستخدمها الباحثون عندما يتصدون للمجتمعات الغربية للاستخدام عند التنصدي لدراسة المجتمعات الشرقية؟

شتبت : لنسأل أنفسنا أولا ما المقصود بمنهج البحث . المقصود بذلك سعي الباحث لتوفير الحقائق عن موضوع بحثه . ثم يضع هذه الحقائق محل اختبار . ثم يربتها في سياق دال . المنهج بهذا الوصف لا يكون شرقيا ولا غربيا بل علمياً . وهو بهذا الوصف يصلح للاستخدام أياً كان الموقع الجغرافي للمجتمع محل البحث .

هذا المنهج العلمي استخدمه العلماء المسلمون القدماء مثل ابن خلدون الذي يمكن انجازها لا في النتائج التي توصل اليها بل في دقة منهج بحثه العلمي . هذا المنهج العلمي صالح دائماً بصرف النظر عن الفروق الجغرافية أو الزمنية .

لكن ثمة مصطلحات مثل « الطبقة » و « الاقطاع » و « البرجوازية » ولدت وعرفت ولها دلالة محددة في مجتمع صناعي أوروبي . إزاء هذه

المصطلحات ينبغي أن يكون الباحث حذراً، فلا يسحب دلالتها على مجتمع آخر. إن هذه المصطلحات قد تكون لها دلالة أخرى أو قد تكون بلا دلالة في مجتمعات أخرى.

المحرر: تقصد أن هذه المصطلحات عناوين على حقائق موجودة في واقع المجتمع الغربي وتاريخه وعلى الباحث أن يبحث عن حقائق واقع المجتمع محل البحث وتاريخه ويضع لها الأساء.

شتبت: هذا ما أقصده بالضبط. ولأضرب لذلك مثلاً بعلم الاقتصاد: يقول كثير من علمائه أن القوانين الاقتصادية صالحة لكل مكان حيث أن عالم اليوم يسوده نظام اقتصادي واحد. وعليه لا يستلزمون التخصص الاقليمي وهذا ما لا أوافق عليه.

المحرر: الآن .. هل يخاطب علم الدراسات الشرقية في أوروبا الأوروبيين بشكل خاص ام هو خطاب موجه لكل مهتم؟

شتبت: من الطبيعي أن الدراسات الشرقية كعلم هي خطاب موجه لكل مهتم. لكنها في المحلل الأول تتجه إلى الأوروبيين على أساس من التواضع الذي لا يجعلها تطمع لأن تتكلم مع الشرقيين عن مشاكلهم. إنني أتصور أن الأوروبيين لا يمكنهم حل مشاكل مجتمع أو مجتمعات أخرى. إنهم قد يساهمون في إثارة الجدل حول موضوع، أو مناقشة طريقة التصدي لمشكلة، لكنهم لا يقدمون حلاً. وعليه أن يكون حذراً ولا يعمد إلى تقديم برامج ولا وصفات تطرح حلولاً.

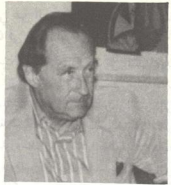
المحرر: لكنك مهتم بوجود الطلبة الشرقيين في معهد الدراسات الاسلامية بجامعة برلين الحرة؟

شتبت: ان مجيء الطلاب الشرقيين الينا يعني أن فرصتهم للدراسة في بلادهم غير كاملة. وعلى الفور يتحدد واجبنا في أن نساعدهم. ونحن نساعدهم بكل ما في وسعنا. ونكون فخوريين اذا عادوا إلى بلادهم وقد اصابوا تقدماً في سيطرتهم على مناهج البحث العلمي. إلى جانب ذلك نفيد

نحن من وجودهم كمحرك نختبر عليه معارفنا بمجتمعاتهم . ان نضجهم
الأكاديمي قد لا يكون كاملاً عندما يقدمون علينا ، لكنهم أجزاء من مجتمعاتهم
دالة على هذه المجتمعات ووجودهم بيننا يمكننا من اختبار صحة منطلقاتنا .
المحرر: اشكرك يا سيدي على تفضلك بالاجابة على اسئلتي .
شيت : مرحباً بك دائماً .



- في لندن. وهي كنيسة للرعايا الألمان في العاصمة البريطانية.
- تأثر بمبادئ ومثل ثورة الطلبة في أوروبا وألمانيا.
- عاد إلى برلين عام ١٩٦٨ ليعمل في الأكاديمية الايثاقانجيلية في المدينة.
- شارك في الجهود التي بذلتها الأكاديمية للتكفير عن اساءة المهترية الالمانية لابناء الملة اليهودية.
- في اثناء ذلك اكتشف أن واجبه كالماني وكانسان متحضر انما هو في المحل الأول تجاه الفلسطينيين الذين تضطهدهم اسرائيل.
- في أوج الحماس الألماني لاسرائيل دعا عدداً من المثقفين العرب للرد على الدعاوى الصهيونية.
- قام بعدد من الرحلات الدراسية في مصر وتركيا وافريقيا في وفود صحفية.
- الآن هو السكرتير الصحفي للشرق الأوسط في مؤتمر السلام المسيحي.
- حلمه أن يسود التفاهم الحقيقي بين جميع الأديان.



• الأب وينفريد مشلر

الأب وينفريد مشلر

- ولد عام ١٩١٠.
- تعلم في اللاهوت المسيحي على فقه كارل بارت وتعاليم ديتريش بونهور.
- تحت الحكم المهترلي لألمانيا قسيس غير مرسوم في كنيسة الشهادة.
- بعد تجنيده في جيش النازي الألماني فضّل أن يكون جندياً ممرضاً حتى لا يرقى إلى ضابط.
- بعد الحرب أصبح مسقط رأسه جزءاً من جمهورية بولندا.
- عمل راعياً لكنيسة قاد عملية تأسيسها في برلين بعد الحرب.
- عمل راعياً لكنيسة ديتريش بونهور.

المحرر: هل يمكنك أن تحدثني عن الدور الذي لعبته الكنيسة البروتستنتية (٢) في صوغ الإنسان في شمال أوروبا؟

مشلر: نعم. ولكن الاجابة ليست سهلة. لأنه إذا كان من المسلم به أن الشمال الأوربي متأثر بالكنيسة الايقانجيلية والجنوب في أوروبا متأثر بالكنيسة الكاثوليكية، إلا أنه يجب ملاحظة أن الايقانجيليون منقسمون إلى كنائس عديدة. في انجلترا كنيسة انجليكانية. وهي إيقانجيلية لكنها متأثرة بعناصر كاثوليكية كثيرة. وفي فرنسا ووسط أوروبا تسود الكالفثية التي تؤكد على الدور السياسي للكنيسة. بينما في السويد وفي المانيا تسود اللوثرية التي تتميز بنوع من السلبية ازاء سلطة الحاكم وميل إلى إيثار انسحاب الفرد إلى داخله وانجاسه في عقر ضميمه.

هذا الطابع يبدو أكثر وضوحاً في المانيا. لقد خضعت الكنيسة اللوثرية تماماً للقيصر الألماني البروسي ورضيت به رئيساً أعلى لها وعلمت المسيحيين طاعة السلطان، وألا يثوروا عليه إلا لو أقدم على عمل شديد البشاعة ضد الرب. لكن الكنيسة في ذات الوقت أكدت على أن فكرة التمرد والثورة فكرة منافية لجوهر التعاليم المسيحية والروح المسيحي.

وعليه فان هذه الكنيسة لم تقاوم النازية الهتلرية في المانيا. بل أكاد أقول انها مهدت الطريق لها. إن الروح الألمانية وتقاليدها وإرثها يجد تعبيراً واضحاً عن نفسه في اللوثرية التي تحمل ما هو قومي أكثر ما هو مسيحي. وعليه فلم تكن بطبيعتها قادرة على التصدي للفاشية. لا أريد الافاضة في هذا الموضوع. لكن ما أقوله معروف وموثق تاريخياً.

المحرر: لكن بروتستنتيين مشهورين استشهدوا في كفاحهم ضد النازي؟

مشلر: أنت تقصد ديتريش بونوفر أحد مؤسسي كنيسة الشهادة (٣) على أساس فقه كارل بارت، كان هذا سويسرياً ينبع من حركة الإصلاح الديني وفي فقهه كثير من العناصر اللوثرية. لكنه أكد على أن المسيحي عليه أولاً وأساساً أن يطيع تعاليم الرب. كان هذا هو الفقه الذي اعتمدنا عليه

كطلاب لاهوت أحداث لكي نتمرد على حكم هتلر. لم يكن تمردنا كبيراً ولا كافياً ولكنه كان موقفاً متميزاً عن مواقف الكثيرين.

ولقد تتلمذ بونوفر على فقه كارل بارت وكان هو القسيس الوحيد الذي اشتغل بالسياسة وانضم لحركة المقاومة ودخل معسكر الاعتقال ودفع حياته ثمناً لموقفه. كذلك مارتين نيمولر الذي اتهم المسيحيين الألمان بأنهم شركاء بالصمت في جرائم النازية الهتلرية.

المحرر: ماذا تقصد بكلمة نحن؟

مشلر: أقصد جماعتنا من طلاب اللاهوت الشبان الذين لو لم تلهمهم تعاليم كارل بارت لكانت النازية قد أغوتنا بما فيها من قيم قومية براقية كثيرة. لكننا فطنا إلى بشاعة الهتلرية واجرامها ضد اليهود والروس والبولنديين والغجر. كنا نحن أعضاء كنيسة الاعتراف أول من تنبه لخطر النازية وقاد المقاومة ضدها. مقاومة قليلة طبعاً، لكننا على الأقل لم تغرنا الأفكار النازية. وقد كان جزاء انتمائي لكنيسة الشهادة حرمانني من أن اكون راعياً لكنيسة وبقيت أعيش بحيش الكفاف. لكنني تحملت التضحية بفرح.

المحرر: ماذا كانت قبضة وأهمية تيار كنيسة الشهادة داخل الكنيسة الايقانجيلية؟

مشلر: كنا قبل الحرب أقلية كبيرة. بعد الحرب استولت هذه الأقلية على معظم مراكز القوة والمناصب الهامة داخل الكنيسة الايقانجيلية. لكن ينبغي القول أن معظم المبادئ التي آمنت كنيسة الشهادة بها قد أهدرت. أهدرت الروح التقدمية وسلطة مجالس الاخوة وذلك على يد عناصر محافظة ورجعية تسللت وتمكنت. وعليه فالبداية من جديد بعد الحرب لم تتحقق أبداً. فقط مجرد ترميم للأوضاع القديمة تحت قيادة رجل مثل أوتودبليوس (٤) الذي بارك إعادة بناء العسكرية الألمانية على يد أديناور (٥). وذلك رغم أن كنيسة الشهادة ضد إعادة تسليح ألمانيا. لكن الأمريكان أرادوا دولة قوية عسكرياً واقتصادياً في مواجهة المعسكر الشيوعي.

المحرر: وأين كان موقعك السياسي في فترة ما بعد الحرب؟

مشلر: كنا قلة رفضت إلا أن توضع مثل وقيم كنيسة الشهادة كاملة موضع التطبيق. لكننا لم نستطع أن نفرض أنفسنا. في ذات الوقت لم نكف عن المحاولة حتى نجحنا في فرض ثلاثة اصلاحات هامة:

● إيجاد قسيسين خاصين بالعمال. كانت الكنيسة الايقانجيلية قبل الحرب لا تعنى عناية خاصة بالعمال كعمال لهم مشاكلهم الخاصة. بعد الحرب استطعنا إيجاد نوع من العمل الديني الموجه للطبقة العاملة.

● إيجاد الاكاديميات الايقانجيلية لاقامة ومتابعة الحوار مع المتعلمين والمثقفين والاكاديميين.

● إيجاد ما يسمى بيوم الكنيسة يقام كل عامين في مدينة كبيرة تقام فيه الصلوات وتلقى المحاضرات وتعد المناقشات ويعلن ويحل موقف الكنيسة من مشكلة هم الناس السلام أو البطالة أو الشباب أو المجاعة في العالم.

وأنا شخصياً بعد الحرب عملت راعياً لكنيسة في فانزي في برلين التي قادت عملية بنائها. بعد ذلك عملت راعياً لكنيسة بونوفر في لندن. بعد عودتي لبرلين عملت في الأكاديمية الايقانجيلية في فانزي. وأحب الآن أن أتحدث عن العمل في هذه الأكاديمية.

المحرر: نعم .. تفضل .

مشلر: هدف الأكاديميات الايقانجيلية هو الحوار مع العالم المحيط بالكنيسة. وقد تأسست الأكاديميات بعد الحرب كما قلت. وهي ملحقه بكل كنيسة مهمة تقريباً. أكاديمية برلين تأسست متأخرة حوالي ١٩٦٠. وأكاديمية برلين ليست كبيرة مثل أكاديميات البلاد الألمانية الأخرى. وتختلف عنها في أنها لا تهتم بالفنون أو الموسيقى أو الاقتصاد أو المشاكل التربوية. بل انها تهتم بشيء واحد محدد هو مواجهة الماضي الألماني وتحمل تبعته. ذلك ما رسمه د. إريش (٦) مولر جانجلوف للأكاديمية وما زالت تتبعه حتى اليوم وهو واجب يتلخص فيما يلي:

● المصالحة مع شعوب دول الكتلة الشرقية. ذلك لا يعني استيراد شيوعيتهم لبلادنا. لكن محاولة تخفيف آثار الماضي على نفوسهم. الماضي الذي تحملوا فيه صنوف العذاب تحت حكم هتلر الاستعماري لبلادهم. وعليه فنذ عشرين عاما وبصرف الناظر عن أي ظروف سياسية تمارس أكاديمية برلين التعاون الثقافي مع البولنديين والتشيك والروس.

● اقامة الحوار وعلاقات الصداقة والتعاون الثقافي مع برلين الشرقية وألمانيا الديمقراطية ورفض سياسة العداء تجاههم أو أجواء الحرب الباردة. حيث أن انقسام ألمانيا كان نتيجة سياسة هتلر النازية.

● محاولة محو العداء بين اليهود والألمان من جراء بشاعات النازي المهترئ ضد اليهود في ألمانيا اثناء الحرب الأخيرة.

المحرر: تحت حكم هتلر كانت كنيسة الشهادة ضد اضطهاد اليهود؟

مشلر: نعم ولكننا لم نفعل من أجلهم في ذلك الوقت الكثير. وبعد الحرب لم تتم محاولة اصلاح ما أفسده النازي، بل سلحت ألمانيا ودعم اقتصادها لتقوم بدور شبيه بدورها تحت حكم النازي. كذلك العداء للسامية لم تتم مواجهته، بل استبدل بالتعصب لليهود ضد العرب: ان الغنصرية بقيت كما هي. لكن بدلا من اليهود أصبح الفلسطينيون الضحية.

بعد حرب ١٩٦٧ رأيت النتائج البشعة لهذه السياسة ماثلة أمام عيني .. أو بالحق لفت نظري اليها عدد من عقلاء اليهود الذين رأوا اسرائيل تمارس ضد العرب نفس الأساليب التي مارسها النازي ضد اليهود. والآن يرى كثير من الألمان أننا نكون في الموقف الخطأ لو ساعدنا اسرائيل انطلاقا من احساسنا بالذنب نحو اليهود. اننا بهذا نساعد في الحقيقة موقفا نازيا جديدا تكفيرا عن موقف نازي سابق. بذلك نتحمل بالاضافة إلى وزرنا ضد اليهود وزراً جديداً ضد الفلسطينيين الذين تطاردهم اسرائيل الآن وتمارس ضدهم سياسة نازية. فإذا كنا نريد فعلا أن نكفر عن ذنبنا ضد اليهود فالطريق الوحيد هو أن نقف بحزم ضد الصهيونية وإلى جانب الفلسطينيين ضد رمز

الصهيونية بيجن الذي يمارس سياسة عنصرية ونازية لا تختلف أبداً عن سياسة هتلر. لم يكن هذا سهلاً علينا. لم يستطع أحد فهم موقفنا. كنا محلاً لشكوك كثيرة. لكننا بقينا على رأينا حتى أثبتت الأيام صحة مقولتنا. إنه لكي نكفر عن ذنوب النازي يجب أن نكون مع اليهود، لكن ضد صهيونية عدوانية مسلحة.

وكذلك أن نكون مع حقوق العرب وخاصة الفلسطينيين. من هذا المنطلق بدأنا منذ عشر سنوات ندعو إلى الأكاديمية مثقفين عرباً ليعبروا عن رأيهم هم ويدعونا نتعلم منهم عن الوضع بين العرب واسرائيل.

المحرر: لكن لماذا تأخر اكتشافكم لمأساة الفلسطينيين الذين تقام ضدهم المذابح منذ الأربعينات؟

مشلر: كان هذا راجعاً إلى السياسة الأمريكية والسياسة الألمانية الموالية لها والتي عملت كل شيء وأخفت كل شيء وتآمرت مع أجهزة الاعلام على اخفاء الحقائق عن الإنسان العادي. ونحن لم نكن متشككين لأنه من السهل تحويل الإحساس بالذنب ضد اليهود إلى تعصب لهم حتى إننا لم نرتب أبداً في سياسة اسرائيل تجاه الفلسطينيين.

المحرر: هل يمكن أن تحدد لي الأسباب الشخصية التي حدثت بك إلى موقف آخر؟

مشلر: ولدت في بيت قيس وتربيت في مدرسة بروسية. في البيت وفي المدرسة هي القومية الألمانية، حتى لتأخذ مكاناً أعلى من العقيدة المسيحية أو تساوها. ومنذ البدء أحسست بالقلق ضد هذه التربية، وأحسست أنني في داخلي مسيحي لبرالي ديمقراطي.

وفي حياتي جربت صدمتين هائلتين. الأولى هي الحرب. كان ينبغي عليّ أن أرفض الجندية، لكن ذلك كانت عقوبته الاعدام وأنا كنت أقل شجاعة من مواجهة هذه العقوبة. لكنني سعت حتى أبقي جندياً ممرضاً. لم أقتل في الحرب إنساناً، بل ساعدت على تخفيف آلام المجرحين وعرفت

روساً وفرنسيين. كنت إنساناً على قدر ما وسعني. ليس هذا حلاً نظيفاً ولا كاملاً، لكنه لم يسعني أكثر منه.

الصدمة الثانية تلقيتها من الطلاب الأوربيين. لقد أصابني نقدهم المرفي مسيحياتي. وجدت أن مسيحتي في موقفها التهادني مع ما يتم في المجتمع تتسم بالضعف. انتهيت إلى وجوب الايمان بثالوث آخر إلى جانب الثالوث المقدس. هذا الثالوث الآخر هو: الديمقراطية والعدالة والسلام، وألا تكون المرأة عبدة الرجل بل شريكته وألا يكون الأب سيافاً مسلطاً على الطفل، بل حبيباً له.

يقال: الاخلاص للرب إخلاص للناس. وأنا أقول: الاخلاص للناس إخلاص للرب. انني كرجل عجوز أرى الموت متربصاً. أراه في كل شيء حتى لأتصوره سيد العالم. فلنكافح الموت بأن ننجد الإنسان والحياة الإنسانية.

المحرر: لكن موقفك ازاء اسرائيل ليس موقفاً شعبياً في المانيا. مشلر: لأن وسائل الاعلام تصور للألمان التعصب لاسرائيل كصورة وحيدة للتكفير عن ذنب النازي المهتلري ضد اليهود. ولأن بعض رجال الدين المسيحي في ألمانيا يفسرون النصوص الدينية على أنه يوجد عهد بين الله وشعب اسرائيل وانه نتيجة لهذا العهد خرج المسيح من هذا الشعب. وهذا تشويه.

في العهد القديم نجد فرقا بين موسى الذي خلص شعبه من العبودية لفرعون وبين يشوع الذي قاد غزوا دموياً لأرض فلسطين. إنني ضد وسائل يشوع الموصوفة في التوراة وكثير من اليهود ضدها أيضاً.

المحرر: لكن من لهم وجهة نظرك يزدادون مع الوقت. وأنا أسمع أحياناً تصريحات رسمية تدّين اسرائيل.

مشلر: يؤلني أن هذا ليس اتجاهها اخلاقياً. بل هو موقف دافعه الخوف من العرب ومن قوتهم البترولية. ان الصهيونية لم تكن وحدها التي آذت

الفلسطينيين. إنها فعلت ذلك بسلاح وضعته في يدها الرأسمالية الغربية .
فاذا تعاطفت هذه الرأسمالية قليلا مع العرب فأنني أضع يدي على قلبي
خوفاً . إنني لا أثق في هؤلاء الرأسماليين أبداً ولا في مسيحياتهم أبداً .

المحرر: هل يمكن أن يأتي يوم يفرّق فيه الألماني العادي بين احساسه
بالذنب تجاه اليهود وبين تأييده لاسرائيل ؟

مشلر: ان تأييد اسرائيل شيء وتأييد عدوانية اسرائيل شيء آخر. قد يأتي
يوم يقتنع فيه كل ألماني بأن اسرائيل معتدية . لكنني لا أعتقد ولا أرجو أن
يتغير التأييد لاسرائيل . ما نريده هو اسرائيل مسالمة تعيش مع جيرانها في
سلام وتعاون مشمر. نحافظ على ميراثها وثقافتها دون أن تعتدي على ميراثهم
وثقافتهم .

المحرر: ما رأيك فيما قاله المستشار النمساوي اليهودي كرايسكي في حديث
له مع مجلة « شترن » الألمانية من أن اسرائيل تعد لنفسها مصيراً مثل
المصير الذي لاقته في العهد القديم ؟

مشلر: إن هذا الخوف موجود لدى كثير من اليهود وكثير من الاسرائيليين .
ونحن نريد أن ننقذ اسرائيل من هذا المصير . أنها بسياستها هذه تحفر قبرها
بيدها كما تفعل الأقلية العنصرية البيضاء في جنوب أفريقيا . ان لديهم
التقدم الفني وهم بهذا قد يستطيعون البقاء طويلا لكن ليس إلى الأبد .
فالانسان أبقي من التقدم الفني ومن التفوق العسكري .

المحرر: شكراً لك .

مشلر: عفواً ...

عبدالحكيم قاسم



(١) (الشعوبية الأوروبية) تعريب لمصطلح Eurocentrismus الألماني أو eurocentrism الإنجليزي. لقد شاعت مقابلته بـ (المركزية الأوروبية) وهذه ترجمة لاتخذ هوى في نفسي :

- لانها ترجمة حرفية ميكانيكية.
 - وعليه فهي إذا عزلت عن سياقها تعجز عن الإيحاء بأي معنى على الإطلاق.
 - وبالتالي فهي عاجزة عن الإيحاء إلى الخلفيات التاريخية والمنافاة للإنسانية للنزعة الأوروبية التي يدل عليها المصطلح الإنجليزي والألماني.
- لذلك رأيت أن أعدل عن الترجمة الشائعة إلى « الشعوبية الأوروبية ». إن الشعوبية مصطلح شاع في العالم الإسلامي منذ أواخر العصر الأموي . وكان يشير إلى العواطف القومية لدى كل شعب من الشعوب التي دخلت الإسلام والتي كانت تتنافى مع العاطفة الأممية الإسلامية . وعليه فقد كانت هذه الكلمة عملة بكرامية النزعة القومية التي تعطي مزايا شعب في مواجهة الشعوب الأخرى وتستتكر كل الخلفيات التاريخية والمنافاة للإنسانية في هذه النزعة .

(٢) الكنيسة البروتستنتية هي الكنيسة المسيحية الغربية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام الإصلاح تحت تأثير مارتن لوتر ويوحنا كالفن وانتشرت في ألمانيا والسويد والنرويج والدانمارك وسويسرة واسكتلندة ثم في أمريكا الشمالية . وهي منشعبة إلى كنائس تختلف عن بعضها البعض في قوانينها وعقائدها .

مارتن لوتر (١٤٨٣-١٥٤٦) من الرهبان الأوغسطينيين . اختلف مع الكنيسة الكاثوليكية في شأن الغفرانات وسلطة البابا والتبطل وأكرام القديسين والندور والرهبانة والطهر والقداس . نقل التوراه إلى الألمانية بأسلوب بديع فأصبحت ترجمته من آيات النثر الألماني .

يوحنا كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤) زعيم المذهب البروتستنتي الشهير باسمه . نشر حركة الإصلاح في فرنسا وسويسرة . الكنيسة الانجليكانية الإصلاحية الإنجليزية أسسها (١٥٣٤) الملك هنري الثامن (١٤٩١-١٥٤٧) بعد انفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية لرفضها الاعتراف بشرعية طلاقه من كاتارينا فون أراجون .

(٣) كنيسة الشهادة قامت ١٩٣٣ في إطار الكنيسة الأيقاغيلية للكفاح ضد الاشتراكية القومية الهنترية في ألمانيا تحت قيادة نيمولر وأسموسن وكوخ ومايستر وفورم متأثرة بفقهاء اللاهوت كارل بارت . وكانت السلطة في هذه الكنيسة غزوة لدوائر المختارين ومجالس الأخوة .

كارل بارت لاهوتي بروتستنتي سويسري (١٨٦٦-١٩٦٨) أسس الفقه اللاهوتي الديالكتيكي. أهم أعماله «خطاب روما» و«عقيدة الكنيسة».

ديترش بوبوفر (١٩٠٦-١٩٤٥) لاهوتي إيثانجيلي ألماني أحد مناضلي وشهداء حركة المقاومة الألمانية وكنيسة الشهادة ضد النازية الهلثرية.

مارتين نيمولر ولد ١٨٩٢ وما زال على قيد الحياة. قبض عليه النازيون عام ١٩٣٧ أثناء كونه راعيا لكنيسة ضالم في برلين وبقي في معسكر الاعتقال حتى ١٩٤٥. حتى ١٩٦٨ عضو مجلس الكنائس العالمي.

(٤) أوتو ديبلويس (١٨٨٠-١٩٦٧) لاهوتي إيثانجيلي ألماني ومن الشخصيات الهامة في كنيسة الشهادة. من ١٩٤٥ حتى ١٩٦٦ أسقف الكنيسة الإيثانجيلية الألمانية.

(٥) كونراد اديناور (١٨٧٦-١٩٦٧) سياسي ألماني من الحزب الديمقراطي المسيحي. سجنه النازي لاشترائه في حركة المقاومة (١٩٤٩-١٩٦٣) مستشار ألمانيا الاتحادية. أعاد لألمانيا مكانها ودورها في الحلف الغربي.

(٦) (١٩٠٧-١٩٨٠) لاهوتي إيثانجيلي ألماني أسس أكاديمية الإيثانجيلية ورسم لها سياستها.



الأندلس تبحث عن هويتها الثقافية والحضارية

ARCHIVE

بمقدم: حامد أبو أحمد

شهدت منطقة الأندلس يوم ٢٣ مايو من العام الحالي يوماً من أبرز الأيام في تاريخها المعاصر؛ فقد جرت انتخابات أول برلمان أندلسي تشكل على أساسها أول حكومة للحكم الذاتي بهذه المنطقة في إطار النظام الحالي الذي بدأ يظهر في الساحة الإسبانية بعد صعود الملك خوان كارلوس عرش اسبانيا عام ١٩٧٥ وتطبيق الحكم الديمقراطي في البلاد. وهذا الحدث السياسي لا يهمننا في هذا المقام إلا بقدر ماله من تأثير كبير في دفع الأندلسيين للبحث عن هويتهم الثقافية وجذورهم التاريخية. والحق أن الأندلسيين ليسوا وحدهم

الذين أسرعوا نحو البحث عن هويتهم، فقد فعلت ذلك أقاليم اسبانية أخرى، تشعر كل منها بتفردتها الجغرافي والتاريخي والثقافي داخل شبه الجزيرة الايبيرية. فشلا، في الشمال تشكلت منذ فترة برلمانات محلية وحكومات حكم ذاتي في كل من «الباسك» و«قطالونيا» و«جاليسيا». ولكن من هذه المناطق لغة خاصة تختلف عن اللغة الاسبانية التي هي في الأساس لغة منطقة قشتالة، أي المنطقة الوسطى من اسبانيا. وقد أخذت كل منطقة من هذه المناطق تبحث عن تراثها الفكري والثقافي المكتوب بلغتها الإقليمية.

وقد لحقت منطقة الأندلس أخيراً بهذا الركب، وسوف تتبعها مستقبلاً مناطق أخرى مثل «بلنسية» و«مدريد» وغيرها. ولكن منطقة الأندلس تختلف عن المناطق الأخرى من نواح كثيرة أهمها أن هويتها الفكرية والتاريخية والحضارية أوضح بكثير من المناطق الأخرى وأكثر عمقاً وأصالة، كما أن جذورها الثقافية عميقة عمق الحضارات الإنسانية التي تعاقبت عليها. ثم إن اللغة الاسبانية أو القشتالية هي لغة الأندلسيين الحالية، وليس هناك لغة أو لهجة أخرى يمكن أن تحمل محلها.

ومعروف أن العرب الكائنات يطلقون اسم «الأندلس» على كل شبه الجزيرة الأيبيرية تقريباً، التي تتكون حالياً من اسبانيا والبرتغال. وقد ظلت الرقعة الجغرافية التي عاش فيها العرب تنحسر بفعل غزوات الممالك المسيحية الشمالية حتى اقتصرت على ما يعرف حالياً باسم «منطقة الأندلس» وهي الجزء الجنوبي من اسبانيا المكون من ثماني محافظات هي: قرطبة وغرناطة واشبيلية ومالقة وجيان وويلبة وقادش والمرية.

وحُكم العرب في هذه الرقعة ظل ينحسر حتى لم يعد يشمل إلا مملكة غرناطة التي خرجوا منها نهائياً عام ١٤٩٢م. وبذلك سقط آخر معقل لهم في الأندلس.

تعاقب الحضارات:

لاشك أن منطقة الأندلس تعد أهم منطقة تعاقبت عليها حضارات مختلفة

وازدهرت فيها . ولذلك فإن الشعب الأندلسي يعد أغنى شعوب اسبانيا ثقافة ، لأن كل حضارة مرت بهذه البلاد لم تذهب عنها إلا وقد تركت فيها ثقافة تتسم بالعالمية والأصالة والعمق والتجديد . ومن ثم يحلو للاسبان دائماً أن يقولوا إن الأندلس هي « قاهرة الغزاة » وذلك لقدرتها العجيبة — في رأيهم — على استيعاب ثقافة العنصر الدخيل وهضمها ثم الخروج بثقافة جديدة أندلسية خالصة . وقد قال الفيلسوف الاسباني خوسيه أورتيجا إي جاسيت : « إن الأندلس من بين كل مناطق اسبانيا هي المنطقة التي لها ثقافة خاصة تميزها » .

وقد تعاقبت على هذه المنطقة حضارات « الفندال » و « القرطاجيين » و « الرومان » و « القوط » و « العرب » و « المسيحيين » ، وتركت كل منها آثاراً ، وإن كانت آثار العرب هي أوضح هذه الآثار وأبرزها وأعظمها خلوداً وتعبيراً عن الروح الأندلسية . ولذلك يقول كاتب قطالاني (جيرموديات بلاخا) في كتاب له عن الشاعر الشهير جاثيا لوركا : « إن قصر الحمراء الصغير في غرناطة كان ولا يزال يمثل المحور الجمالي للمدينة . ويبدو أن غرناطة لم تدرك أن فيها قصراً آخر ضخماً يستلمى قصر شارل الخامس (شارلكان) وكاتدرائية عملاقة . فليس هناك تراث قبصري أو تراث يقوم على حزم من الأعمدة . إن غرناطة حتى الآن مازالت تحس بالرعب من أبراج الكاتدرائية الهائلة ، وتفضل الانزواء في غرفاتها الصغيرة حيث توجد أصص الريان ، ونوافير المياه الرشيقة . إن جمالية الفن الدقيق متغلغلة في دماء المدينة » .

وبالفعل فإن جماليات الفن الإسلامي المتميز بدقة الرسوم والأجزاء وصغر أحجامها والمتمثل في قصر الحمراء هي أول شيء يمكن أن يلحظه السائح في غرناطة ، وكأنه يجري في دماء هذه المدينة الجميلة ، التي تنفر — بحق — من الأبراج الهائلة للكاتدرائية والمباني الضخمة لقصر شارل الخامس التي ليست إلا رصاً من الحجارة الصماء . وأذكر أن أحد المعماريين العرب زار ذات مرة

قصر الحمراء ثم عرج على قصر شارل الخامس الواقع بجانبه فلما رأى حجارته الصماء التي لا تنطق بفن ولا تنم عن أي لمسة من الجمال قال : « ما أتعس هذا البناء الذي شاء له حفظه العاثر أن يقام بجانب قصر الحمراء » .

وتعاقب الثقافات هذا جعل من الشعب الأندلسي شعباً عالمياً بطبعه ، مرهف الحس ، خصب الخيال . وسوف نلاحظ ذلك عندما نكتب عن شعراء الأندلس المعاصرين الذين تبوأوا قمة الشعر الإسباني المعاصر بل والعالمي أيضاً مثل خوان رامون خييز وفيدريكو جارتيا لوركا . وقد أدى ذلك أيضاً إلى تراكم ثقافي وفني ثري للغاية ، وإلى التنوع والأصالة في الحفلات والأعياد التي تشمل كل التراث الأندلسي مثل الأسبوع المقدس والكرنفالات وأعياد إشبيلية واحتفالات المور (المسلمين) والمسيحيين وغيرها .

وانطلاقاً من فكرة هضم الأندلس للثقافات التي عاشت على أرضها قام بعض المفكرين الإسبان ، وبالأخص مدرسة آسين بلاثيوس في النصف الأول من هذا القرن بصياغة نظريات ترجع حضارة العرب في الأندلس إلى امتزاج عناصر مختلفة بعضها عربي خالص وبعضها أندلسي ، ومن ثم فقد اطلقوا على هذه الفترة من تاريخ الأندلس اسم « الاسلام الإسباني » . وتعمق المستشرق المعروف اميليو جارتيا جوميث في بحث هذا الموضوع على المستوى الشعري ؛ فبعد أن كان الباحثون يطلقون على الشعر الأندلسي « شعر العرب في الأندلس » أو على الأقل يفهمونه بهذا المعنى ، جاء هو بتسمية جديدة شاعت على لسان كل الباحثين فيما بعد وهي « الشعر العربي — الأندلسي » . وقد حاول في محاضرة له ألقاها بالمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد عام ١٩٥٢ أن يثبت تمتع الشعر الأندلسي ، وخاصة في فترة تاريخية ممتدة لحوالي قرنين بخصائص تختلف عن خصائص الشعر العربي في المشرق . وقد تبعه في ذلك بعض الباحثين فيما بعد وتعمقوا في هذا البحث . وعلى أية حال فإن مثل هذه الأبحاث تساهم بصورة فعالة في إثراء التراث العربي في الأندلس ، وتوضح مدى عمق هذا التراث وأهميته .

الهوية العربية الإسلامية

ولكن هناك قطاعا من الأندلسيين حالياً ، وبالأخص الشبان ، يدرك أن بلاده ظلت لفترة طويلة امتدت حوالي ثمانية قرون من الزمان تحمل الهوية العربية الإسلامية ، وأن هذه الفترة قد شكلت الروح الأندلسية ، وجعلت لها خصائص ثقافية وحضارية تميزها كثيراً عن غيرها من مناطق اسبانيا . وهؤلاء أصبحوا يجهرون بآرائهم ، وينشرون المقالات في الصحف — وبالأخص الإقليمية — دفاعاً عن ذلك . والبعض سارعوا إلى اعتناق الإسلام ، كما أن بعض المدن بدأت تحتفل بذكرى مؤسسيها من العرب . وإن كان يجب القول بأن الاتجاه العام وخاصة في مناطق اسبانية أخرى يقف لشل هذا الاتجاهات بالمرصاد . وقد أصيب مؤرخ اسباني شهير قارب عمره التسعين عاماً يعيش في الارجننتين هو كلاوديو شانشرز ألبورنوص بحالة من الذعر نتيجة انتشار فكرة الهوية الإسلامية للأندلس بين الشباب ، فأخذ ينشر مقالات في الصحف يتحدث فيها عن سيئات العصر الإسلامي في الأندلس ، والحروب التي كانت قدور بين الممالك المسيحية الشمالية والممالك الإسلامية ، ويبرهن على أن خروج العرب من آخر معقل لهم في شبه الجزيرة الايبيرية كان نعمة كبرى ، لأن اسبانيا شهدت في أعقابها حركة الاكتشافات الكبرى من العالم الجديد ، ونشرت لغتها وثقافتها في كل دول أمريكا اللاتينية تقريباً . كما شهدت حركة ثقافية ضخمة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين اطلق عليها اسم « العصر الذهبي » ، في حين أن الإسلام منذ ذلك الوقت قد عانى من تدهور رهيب امتد حتى قرننا الحالي ، ولم يظهر طوال هذه الفترة أي عالم أو مفكر مسلم ذي مستوى رفيع . ويحذر هذا المؤرخ شباب الأندلس من العودة إلى تبني فكرة الحضارة الإسلامية لأنهم بذلك يخونون تراث أجدادهم ، الذين خلصوا الأندلس خاصة واسبانيا عامة — في رأيه — من موات محقق أو نوم طويل كان يمكن أن يستمر حتى مطلع القرن الحالي ويقول ألبورنوص إنه لا يغض من قيمة الثقافة الإسلامية ، فقد كان هو أول المعترفين بفضل شخصياتها الضخمة التي

برزت في مجالات العلوم والآداب والمعرفة بوجه عام ، ولكنه لا يتمنى أن تعود الأندلس إسلامية مرة أخرى ، ولذلك فإنه لن يألو جهداً — بالرغم من تقدمه في السن — في العمل على تحذير الشباب من هذا المنزلق الخطير.

ولا يظهر مقال من هذا القبيل لألبورنوص إلا ويظهر بعده مباشرة رد عليه من قبل الأندلسيين أو غيرهم ، حيث يقومون بتفنيد هذه الادعاءات ويبرهنون على أن الإسلام في الأندلس قد صنع حضارة زاهرة في وقت كانت فيه أوروبا تغط في نوم عميق . وكانت مدينة قرطبة من عام ألف من الميلاد سيدة الحواضر وتاج الممالك . وقد اتسمت حضارتها بالتسامح فتعايش المسلمون والمسيحيون واليهود جنباً إلى جنب في أخوة لا تعرف التعصب ، على عكس ما حدث في عهد محاكم التفتيش . أما المعارك التي كانت تدور في ذلك الزمان فلم تكن بين المسلمين والمسيحيين فقط ، ولكنها كانت في كثير من الأحيان بين المسيحيين بعضهم بعضاً ، والمسلمين بعضهم بعضاً . وكانت كل فئة تستعين على الأخرى بالتحالف مع ممالك أخرى مسيحية كانت أم مسلمة . أي أن هذه الحروب لم تكن صليبية ، وإنما كانت في حقيقتها طائفية . فلك قشتالة المسيحي كان يستعين مثلاً ببني ذي النون المسلمين ضد أعدائه من المسيحيين أو ضد أعدائه من المسلمين أيضاً ، وهكذا دواليك . ثم إن الشعب الأندلسي على امتداد فترة طويلة من الزمان قد انحدر في سلك الحضارة الإسلامية ودخل الناس أفواجا في الإسلام حتى اختلطت الدماء وأصبحت الحضارة مشتركة ، فقد صنعها الأندلسيون على أرض الأندلس ، وما زالت آثارها باقية .

وهكذا نجد أن الأندلس تشهد منذ حوالي خمس سنوات تقريباً نوعاً من الصحوه بحثاً عن هويتها . ويأتي ضمن ذلك قطاع لا يستهان به يتطلع نحو الهوية الإسلامية ، وإن كانت هناك ردود فعل قوية سواء داخل منطقة الأندلس نفسها أو خارجها تقف لهذا الاتجاه الإسلامي بالمرصاد ، وتحاربه بشتى الوسائل وبالأخص الإعلامية ، فضلاً عن أن الكنيسة — بما لها من قوة

ونفوذ— تترصد أية حركة من هذا القبيل للقضاء عليها في مهدها . وقد أسلم عدد من الشباب الأندلسي، ونرى أن الجانب الفكري والحضاري وتحديد الهوية من أهم الأمور، وهذه مهمة يقوم بها في هدوء ودون إثارة رجال الفكر والثقافة .

محاولات شمولية حول الوضع الراهن

على أنه من أهم المحاولات الشاملة التي نظمت في السنوات الأخيرة لبحث الوضع الثقافي نجد «المؤتمر الثقافي الأندلسي» الذي عقد بمسجد قرطبة عام ١٩٧٨ بعد حملة موسعة من المهرجانات وأعمال اللجان . وقد درس المؤتمر العناصر الثقافية الخاصة بمنطقة الأندلس وقدم دراسات محددة حول المستويات الهيكلية والايديولوجية والتعبيرية المعاصرة وغيرها من قطاعات تشمل جميع الجوانب الثقافية والحضارية مثل البيئة والزراعة والصناعة والتعليم والانثروبولوجيا والقانون والتاريخ والألعاب الرياضية، إلى الفلامنكو والفنون الجميلة والمسرح والسينما والآداب وغيرها .

وسوف يزداد الاهتمام بهذه القضايا الراهنة بعد انتخاب البرلمان المحلي وتشكيل حكومة الحكم الذاتي بالمنطقة، نظراً لأنها تعد حالياً من أفقر المناطق الإسبانية وأكثرها تأخراً في النواحي التعليمية والعمرانية ومستوى المعيشة وغير ذلك من وسائل النشاط البشري، وذلك بسبب النقص في الهياكل المادية والبشرية المناسبة . فثلاً تبلغ نسبة الأمية في الأندلس —حسب الإحصاءات الرسمية— ١٥,٣% أي ضعف متوسط نسبة الأمية تقريباً على المستوى القومي والتي تبلغ حوالي ٧% فقط . وتأتي مدينتا غرناطة وجيان بالأندلس على رأس المدن التي تعاني من ارتفاع نسبة الأمية . كما أن نسبة التعليم في منطقة الأندلس أدنى بكثير منها في باقي المناطق، فضلاً عن انتشار البطالة مما يدفع بالكثيرين من أهل الأندلس للهجرة بحثاً عن العمل في مناطق أخرى أو في البلاد الأوروبية . وقد أثر هذا بدوره على الوضع الثقافي والأدبي والفني بالمنطقة، حيث هاجر معظم الكتاب والفنانين والأدباء إلى

المناطق الأخرى وبالأخص مدريد، وعاشوا في ظروف تختلف عن ظروف بيئتهم الأصلية، مما أحدث فقراً في هذه النواحي.

ومع ذلك فقد بدأت المنطقة تشهد حركة انتعاش ثقافية، فقد أصبحت الجامعات والمراكز العلمية تتسابق في عقد أسابيع ثقافية أو مهرجانات فنية وأدبية، وتتنافس في افتتاح المراكز الثقافية في الأحياء الشعبية والقرى. وربما تشهد البلاد قريباً ظهور عدد كبير من المجلات والصحف. وكانت في بداية القرن الحالي غنية في هذا المضمار. وقد بدأت تظهر أبحاث كثيرة تتناول تاريخ الأندلس وثقافتها وحضارتها، وبعضها يؤكد بالطبع على الهوية العربية - الأندلسية للمنطقة، والبعض الآخر يعارض هذا الاتجاه ويحذر من قصر تاريخ الأندلس على الفترة المزدهرة من تاريخ الاحتلال الإسلامي - كما يسمونه - لأن هذا - في رأيهم - يؤدي إلى فقر في الهوية الحضارية.

خلاصة:

والخلاصة أن الجذور التاريخية والحضارية والثقافية الإسلامية تمثل أهم المنابع الثقافية لمنطقة الأندلس - وهذا أمر أصبح يدركه عدد كبير من الأندلسيين - لكن من الصعب التكهن بنجاح هذا الاتجاه لأنه محاصر كما ذكرنا من جانب قطاعات كبيرة في الأندلس، بالإضافة إلى القطاع الأكبر المتمثل في الاتجاه العام للثقافة والحضارة الإسبانية، والتي تشكل الأندلس جزءاً منه أيضاً، خاصة وأن الثقافة العربية بالأندلس قد تعرضت لعمليات طمس متعددة لمدة أربعة قرون تقريباً. فقد كانت كل الأجهزة موجهة لوأد أية محاولة تزيج النقاب عن تاريخ هذه الحضارة. ومع مطلع القرن الحالي أحس عدد من المثقفين الإسبان - وبالأخص المستعربين منهم - بفداحة الظلم الذي وقع ضد الحضارة العربية الأندلسية، ومن ثم فقد حاولوا إزالة بعض الغبار الذي تراكم عليها عبر القرون، ونادوا بأن تاريخ الإسلام في الأندلس جزء لا يتجزأ من تاريخ إسبانيا فأطلقوا عليه - كما ذكرنا -

«الإسلام الاسباني». وما زالت هذه العملية تجذب مشجعين جددًا، وآخرهم — حسب علمنا — الكاتب القصصي خوسيه ماريّا خيرونيلا (من مواليد قطلونيا عام ١٩١٧) الذي أصدر مؤخراً كتاباً ضخماً عن الإسلام من حوالي خمسمائة صفحة. وقد تحدث في مقابلة تلفازية تعليقاً على هذا الكتاب فكان مما قال: «لقد علمونا منذ الصغر في المدارس أن جذورنا الثقافية تعود إلى اليونان واللاتين فقط، ولكننا لم ندرك أن الثقافة الإسلامية كان لها دور كبير في تشكيل حضارتنا إلا بعد أن كبرنا وتعمقنا في البحث. وأكبر دليل على ذلك لغتنا الاسبانية المليئة بالآلاف الكلمات من أصل عربي».

وهكذا نجد أن التيار العربي الإسلامي يشكل أحد الروافد إن لم يكن أهمها، والتي يبحث عنها الأندلسيون حالياً من أجل تحديد هويتهم الثقافية والحضارية. ولكننا لانحب أن ننزلق إلى التعميم — مثلما يفعل البعض — ونقول بأن كل المياه تصب نحو هذا التيار، لأن الأمر حتى الآن لا يعدو مجرد قطاعات معينة، وإن كانت على أية حال ظاهرة جديدة تستحق التوقف عندها كثيراً واعطاءها حقها من الدراسة والبحث. وإلى مقال آخر نتناول فيه إن شاء الله شعراء الأندلس المعاصرين وأثرهم الهائل في حركة التطور الابداعي في الشعر المعاصر.





شعر
محمد
سعد
بيومي

ملاح وتركت أصابع قلبي فوق موانٍ عده
وقطفت كثيرا ..

من كل مكان ورده

عبق القبلات وماء العطر يفوحان ..

من السترة ، والصدر النمل ..

وتنهيدات العشق تدمدم في قلبي ..

ساجدة أقدس سجده

في قلبي دالات للحب .. وأيضا طرق للمرده

أعرف من أين يجيء القرش ..

وكيف يروح القرش ، وأعرف من نسوة ..

هذا العالم ما يقرب من شعر الرأس ..

وفوق شعوري انتعشت ومضات الحكمة ..

وانشقت حركات القرده

لكنني ..

أشعر أن مياه العالم لا تروي ظمأي

وطريقي فيه سؤال هو : ماهي أسباب السقم القاتل ..

والجسد الفارع لا يشكو وهنا أو مرضا ..

والقلب معاف ..

وحقيقة عمري ..

(ليس هناك عز يز أخشى بعده)

وسؤالي لا يعني ضعف البصر

فأنا ألعب بالبيضة والحجر

وحياة العالم يسكرهم ثمري

لكنني أسقط من فوق الشجر

لحنا لم ينضج بعد على الوتر